الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة حمه لخضر بالوادي

كلية الآداب واللغات
قسم: اللغة والأدب العربي

المتخيل الصحراوي والسرد الرحلي في رواية "الملحد" لعبد الرشيد هميسي

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين:
ربح الله إيمان
مناصر نجاة

إشراف الدكتور:
د. العلمي مسعودي

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
مسعود وقادي	أستاذ محاضر –أ–	جامعة الشهيد حمة لخضر – الوادي	رئيسا
العلمي مسعودي	أستاذ محاضر –أ–	جامعة الشهيد حمة لخضر – الوادي	مشرفا ومقررا
محمد الصديق معوش	أستاذ محاضر –أ–	جامعة الشهيد حمة لخضر – الوادي	مناقشا

السنة الجامعية: 2023/2022

بسم الله الرحمن الرحيم

أعوذ باللّه من الشّيطان الرّجيم

{لَاْ أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ}

[الكهف: 60]

إهداء

الحمد لله ربِّ العالمين على نعمة العقل والدِّين وفطرنا على حبّ المعرفة واليقين، وجعلنا متعلمين، وصلى ّالله على سيدنا محمد أزكى الصلاة وأفضل التسليم، أما بعد:

أهدي ذلك الجبل الذي أسند عليه نفسي عن الشدائد أبي الغالي محمد العربي مناصر

إلى الحبيبة التي تحفظني وتحيطني دعواتها في كل سجداتها أمي الغالية فاطمة الزهراء بوقرة

إلى نبض قلبي وفؤادي إخوتي زينة، سهام، رزق، سعيد، غنية، إبراهيم

إلى روح أختي أحلام رحمها الله

إلى زوج اختي الغالي عصام وابنه الكتكوت أحمد شاهين

إلى اليد اليمين والضلع الثابت الذي لا يميل إليك عمي الغالي فواز مناصر

إلى الصديقات ورفيقات القلب التي جمعتني بهن الأيام الجميلة زهرة نزيهة، فردوس، سلافة، مروة، سعدية، خديجة، نجود، رانيا، خنساء

إلى غاليتي ورفقتي في هذا البحث إيمان ربح الله

إلى صديقي العزيز عصمان العياشي

إلى كل من ساندني وكان خير عون في إنجاز هذا البحث

نجاة مناصر

إهداء

الحمد لله والصلاة والسلام على المصطفى محمد عليه أفضل صلوات ربي

إلى من كانت في السراء والضراء، غلى من اجتهدت وحرصت على نشأتي وتربيتي، إلى من غمرتني بحبها وعطفها وحنانها، إلى من يعجز اللسان عن وصفها، إلى التي دعا الله الجنة تحت أقدامها إلى أمها حفظها الله ورعاها

إلى من أشعل مصباح عقلي وأطفأ ظلمة جهلي وكان خير مرشد لي نحو العلم والمعرفة، إلى من علمني وأن الحياة صبر وعطاء، إلى أبي حفظه الله وأدامه بصحة وعافية.

إلى إخواني: رابح ومحمود

إلى أخواتي: مفيدة وربعية، سليمة وخولة

وإلى ازواج اخواتي وزوجة أخي

إلى سندي في الحياة زوجي إسماعيل وإلى عائلتي الثانية عائلة رياب

إل رفيقة دربي وصديقتي: نجاة مناصر

وإلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد وتمنى لي النجاح اهديهم أسمى عبارات الشكر والامتنان

ربح الله إيمان

شكر وعرفان

قال تعالي: وإذ تأذَّن ربكم لئن شكرتم لأزدنكم ولئن كفرتم إنَّ عذابي لشديد الآية 7سورة إبراهيم

فالشكر أولا لله عزَّ وجل على النعم التي لا تحصى التي بثها في عقل الإنسان، كما أتوجه بجزيل السكر إلى الدكتور العلمي مسعودي الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته ونصائحه القيمة، التي كانت عونا في إتمام هذه الدراسة أطال الله عمره خيرًا

كما نتقدم بجزيل الشكر غلى طلبة السنة الثانية ماستر وكل زملائي وزميلاتي

فلكم منا خالص الشكر والتقدير

وأرجو من الله التوفيق والسّداد

مقدمة

مقدمة:

تعد تجربة الكتابة الروائية من التجارب ذات الأهمية البالغة في الاشتغال على الكتابة الابداعية وعلى موضوع لم تسبق له الدراسة في الرواية الجزائرية بخلاف كثير من الموضوعات التي اعتدنا عليها مع الرواية التقليدية والتي تحتاج إلى مزيد من بذل جهد العلمي أو العناية البحثية، فقد ظهر جيل من الروائيين الجزائريين استطاع كسر الروتين السردي، وذلك عن طريق الانتقال من متخيل الرواية السبعينية، وما تلاها إلى متخيل آخر انزاح إليها قلم الكتاب عموما، والروائيين المعاصرين خصوصا لما تحمله من مواضيع معاصرة.

أعيد من خلالها قراءة التاريخ الجزائري، وبالتالي المعرفة الثقافية للجزائر، ومن أبرز المواضيع التي عرفتها الرواية الجزائرية مؤخرا هو موضوع الصحراء، فقد عرفها الانسان منذ وجوده، واستلهم معانيها وحاول الوقوف على ما تحمله من أسرار داخلها، خاصة أنها كانت وما تزال تشكل متاهة يهيم فيها الفكر والعقل البشريين دون الوصول إلى تكوين فكرة جامعة مانعة لكونها وأسرارها.

وقد اهتممنا بالمتخيل الصحراوي وكذا السرد الرحلي اللذان يرتبطان ببعضها البعض، فلولا تلك الرحلات التي قام بها الروائيين الرحالة لما تولد المتخيل الصحراوي فبفضل هذين الأخرين وتوظيفها في الرواية المعاصرة استطاع الإنسان معرفة أسرار الصحراء، لذا ارتأينا أن نركز على هذين المكونين الأساسين حيث تكمن أهميتهما في كونهما يمثلان بنية نواة داخل العمل الروائي.

وبهذا دفعتنا أهمية الموضوع لاستكشاف هذا البحث من خلال اختيارنا لعينة من الراوية الجزائرية المعاصرة وهي راوية "الملحد بقي بن يقظان ": للدكتور الروائي لعبد الرشيد هميسي، فدرسنا تجلي المتخيل الصحرواي فيها والعلاقة بينه وبين السرد الرحلي، أوسمنا

موضوع دراستنا بعنوان بـ: "المتخيل الصحراوي والسرد الرحلي في رواية الملحد (بقي بن يقظان) "لعبد الرشيد هميسي"

ومن الدوافع الذاتية والموضوعية التي جعلت اختيارنا يقع على هذا الموضوع كثيرة أهمها:حبنا لأعمال الروائية التي يؤلفها الدكتور عبد الرشيد هميسي، وأهمية المتخيل الصحراوي في الرواية الجزائرية، وكذا أن راوية "الملحد" من الروايات الحديثة التي لم تحظ بالدراسة من هذا الجانب، وكذا التعريف بمكونات الصحراء

وللانطلاق في دراستنا وضعنا اشكالا أساسيا تمثل في:

كيف شكل الروائي عبد الرشيد هميسي متخيلها السردي في الرواية؟

وتندرج تحت هذه الإشكالية العديد من الأسئلة الفرعية نذكر منها:

- **ما هو المتخيل الصحراوي؟**
- **وما هو السرد الرحلي؟ كيف تجلى متخيل الصحراء في راوية" الملحد "؟**
- **فيما تمثلت العلاقة بين المتخيل وسرد الرحلي؟**

ومن خلال أسئلة الإشكال جاءت أهداف الدراسة على النحو التالي:

- التعرف على المتخيل بصفة عامة والمتخيل الصحراوي بصفة خاصة
- الوصول إلى أهمية السرد الرحلي من خلال الراوية المدروسة
- بيان مظاهر تجلي المتخيل الصحراوي في راوية الملحد.

ولتكتمل دراستنا ونتمكن من الاجابة على الأسئلة التي بنيت عليها الاشكالية وضعنا الخطة التالية وتتمثل في مدخل وفصلين:

- الفصل الأول عنوناه بـ: المتخيل الصحراوي والسرد الرحلي وقسمناه إلى مبحثين، المبحث الاول عنوناه بمتخيل الصحراء وسرد الرحلة المفهوم والعلاقة، والمبحث الثاني معنون بالمتخيل الصحراوي والسرد الرحلي عند العرب والغرب.
- أما الفصل الثاني فعنون بتجليات المتخيل الصحراوي والسرد الرحلي في الراوية وقد قسمناه الى مبحثين أيضا المبحث الاول معنون بـ: بالمتخيل الصحراوي في الراوية، أما المبحث الثاني فموضوعه تجليات السرد الرحلي في الراوية.

وفي خاتمة دراستنا قدمنا بشكل مجمل مختلف النتائج التي توصلنا إليها عبر فصول البحث.

تنتهي في الخطة التي رسمت للبحث تفاصيل الموضوع لتنتقل إلى المنهج الذي يتلائم مع طبيعة الدراسة والنتائج المتوقعة فاعتمدنا على المنهج" البنيوي "باعتباره منهجا وصفيا يستبعد كل ما هو خارج النص ويتعامل معه كبنية قائمة بذاتها خاصة في روايتنا فقد ساعدنا في تحليل النص بصفته بنية ذاتية واستنطاق وظائف هذه المكونات.

وهذا البحث لم يكن تأملا اعتباطيا، بل كان نتاجا للاطلاع على مصادر ومراجع مختلفة اهتمت بدراسة هذه الظاهرة الأدبية وفيما يلي: نقدم أهم المراجع المعتمدة في الدراسة:

"شعرية الخطاب السردي "لمحمد عزام"، المتخيل في الراوية من المتماثل إلى المختلف لآمنة بلعلي، "بنية الشكل الروائي" لحسين بحراوي، "شعرية الفضاء السردي" لحسن نجمي"، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي "لحميد لحميداني".

وبالرغم من توفر المصادر والمراجع التي دفعتنا للعمل في هذا الموضوع إلا أن هناك بعض الصعوبات التي اعترضت طريقنا أثناء إعداد هذا البحث من بينها قلة الدراسات في مجال المتخيل الصحراوي وكذا جدة هذه الراوية فلم نجدد دراسات سابقة لها.

وفي الاخير يبقى هذا البحث كأي جهد بشري يطاله النقص، فإن وفقنا في مسارنا بفضل الله أولا مساعدة أساتذتي ثانيا، وإن أخطأنا فتقصير منا، ويسعنا هذا المقام أن نتقدم بجزيل الشكر لكل من قدم لنا يد العون في إعداد هذا العمل، ونتقدم بخالص الشكر والاحترام والتقدير للأستاذ المشرف "**الدكتور العلمي مسعودي**"، الذي لم يتردد في إرشادنا كل ما طرقنا بابه ولم يبخل بتوجيهاته العلمية التي أفادتنا في هذا البحث، والشكر لمن ساندنا في عملنا المتواضع الذي نسأل الله أن يكون في المستوى المطلوب ليستفيد منه المطلع ونحمد الله على تمام هذا البحث ونسأله التوفيق.

الوادي في:14_05_2023

مناصر نجاة

ربح الله إيمان

مدخل مفاهيمي

إن التشابه والاختلاف في المفاهيم بشكل عام في الغالب تكون أمام العديد من تعريفات التي نلجأ من خلالها إلى التفريق بينها، ومن هذه المفاهيم نجد المتخيل إلا أن يوجد التشابه الكبيرة بينهما، كل واحدة منها تتسم بالخصوصية في ذات الوقت.

فالمتخيل له علاقة بعملية الفكر والإبداع التي يتعرف لها الإنسان وهذه الفكرة موجودة منذ القديم، فالإنسان من طبعه فضولي، فلا يمكنه التوقف عن إخراج أفكاره وتخيلاته العديدة.

فتخيل الإنسان غير محدود من أجل خلق كل ما هو جديد وممتع من الفنون المختلفة فهي: طبيعة بشرية، ومن بين هذه الفتون خاصة الفنون الأدبية، ومن الممكن القول انها هي التي من خلالها يستطيع كاتبها الإلهام من خلال مخيلته وجدت هاته الفنون، فعليه وجب علينا التطرق غلى المفاهيم المتشابهة أو المتعلقة بالمتخيل نذكرها كالتالي: المخيلة، التخييل، المخيل السردي،...إلخ.

1-تعريف المتخيل السردي:

المتخيل الذي يعطي للرواية خصوصية تعرف به ويتعالى عنها أحيانا أخرى، ليكون وسيلة لإثارة أنباء غير موجودة بواسطة اللغة أو المحاكاة أشياء موجودة أو إثارة نوع من أنواع الإبهامات أو التمثلات التي تتوجه إلى أشياء أو تربطها باللحظة التي تمثلها في الذات، فتصبح عملاً مقصودًا بجسد وعيا بغياب أو اعتقاد بإبهام، أي أن المتخيل السردي هو الذي يعطي للرواية السمة أو الميزة التي يظهر بها هذا النص، كما أنه وسيلة لإثارة أشياء غير موجودة في الرواية بواسطة اللغة.

فالمتخيل السردي هو عنصر من عناصر الإبداع، حيث يلجأ إليه الكاتب كتقنية فنية لتكثيف الخيال في النص السردي، وخلق جو مفعم بالخيال السحري والعجائبي، انطلاقا من مخيلته، حيث يستند الى الواقع ويعيد تشكيله بصورة وأفكار جديدة تناقص الحقيقة، لكنها توهم القارئ بواقعيتها، حيث يستمد الكاتب بعض نماذجه من الواقع ويخفي عليها عنصر التخييل لتبدو جميلة ومتميزة بواسطة اللغة[1].

2-تعريف التخييل:

فنجد أن الفارابي أول من استعمل لفظة التخييل، ثم تتبعه ابن سينا الذي يرى أن التخييل هو «**تحريف القول الصادق عن العادة أو إلحاقه بشيء تستأنس النفس به، فربما أفاد التصديق والتخييل، وربما شغل التخييل عن الالتفات به**»[2].

[1] مسعودة نضوري، شريفة يوسف: مرجعيات المتخيل السردي في الرواية الجزائرية المعاصرة، نماذج مختصرة، فاطمة شريفي، مذكرة مكملة مقدمة من أجل شهادة الماستر في اللغة والادب العربي، جامعة ابن خلدون، تيارت، 2022/2021، ص6.

[2] عثمان موافي: في نظرية الأدب(من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ج1، _د ط)، 2005م، ص135.

فالتخييل هو ان يرتدي الكلام الصادق لحاف الكذب من أجل تزيينه وإخراجه إلى فلك الواقع بصورة مغايرة توهم المتلقي أنها على يقين وبعيدة كل البعد عن الخداع، فـ**ابن سينا** نظر إلى التخييل على أنه جانب وجداني وقلل من أهمية الجانب العقلي، وبذلك التخييل يكون «**خداع العقل وضرب من التزويق**»[1].

أما **حازم القارطاجني** الذي عرف التخييل تعريفًا دقيقًا، ويتضح ذلك في قوله: «**والتخييل ان تتمثل لسامع من لفظ الشاعر المخيل أو معانيه، أو أسلوبه ونظامه، وتقوم في خياله صورة، أو صور ينفع لخياله تصورها، أو تصور شيء آخر بها، انفعالا من غير رؤية إلى جهة من الانبساط أو الانقباض**»[2].

من خلال هذا التعريف يتضح مفهوم البعد التفاعلي، الذي انبثق عن مفهوم التخييل، حيث يصبح النص عقل خصب للتعاون التخييلي بين المبدع والمتلقي.

3-تعريف المخيلة:

أ- **لغة:** ورد في **المعجم الوسيط** أن المخيلة القوة التي تخيل الأشياء وتصورها وهي مرآة العقل[3].

فالمخيلة هي التي تنتج لنا أفكار وأحداث مخزنة، أي ما تحتويه الذاكرة عبر فعل التخييل.

ب-**اصطلاحًا:** تعرف المخيلة على أنها جزء من اجزاء الجسم الإنسان، لها دورها ومميزاتها كباقي الأعضاء، وهذا ما يشير إليه ديكارت عنما قال: «**إن المخيلة تمثل**

[1] عبد القادر الجرجاني: أسرار البلاغة، تعليق: سعيد اللحام، بيروت، لبنان، (د ط)، 1999، ص 135.

[2] حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء تقديم وتحقيق: محمد الحبيب بن خوخة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، ص89.

[3] بطرس البستاني: محيط المحيط(قاموس مطول للغة العربية)، مكتبة لبنان، بيروت، (د ط)، 1987م، مادة (خيل)، ص11.

جزءا حقيقيا من أجزاء الجسم الذي له حجمه وأجزاؤه المتباينة والمتميزة عن بعضها البعض»[1].

فالمقصود به أن المخيلة تلعب دورًا هامًا بالنسبة للإنسان وهي: تتميز عن باقي اعضاء الجسم بوظيفتها الضرورية.

إضافة إلى ما قاله **ديكارت*** يرى **جان برغيس**Jean Bruges**"" أن المخيلة:

«قدرة الذهن على إحداث صور هذه الصور قد تكون مجرد استعادة إحساسات في غياب الأشياء، التي أحدثتها أو اختراعات حرة وفقا لهوانا، وهذا يعني التفريق بين شكلين من أشكال المخيلة احدهما ذو علاقة مباشرة بإدراكاتنا والثاني جوهره في أن يتحرر من العالم الحسي»[2].

وهذا يعني ان المخيلة ملكة ذهنية، تتقوم بتشكيل الصور عن طريق إعادة ما هو مخزن من ذخيرة المدركات السابقة، ومن ثم تقوم بتحرير هذه المدركات ع طريق إنتاجها من جديد.

4- السرد الروائي:

يعبّر مفهوم السرد الروائي عن طريقة عرض القصص وما يسمّى بالقصّ أحيانا، والتي تعتمده العديد من الأشكال الفنية الأدبية مثل الرواية والقصة والمسرحية، وهو منهجية خاصّة تُستخدم من أجل نقل القصة إلى القراء والمتلقين عمومًا، أو بشكل آخر هو استخدام التعليقات المنطوقة أو التعليقات المكتوبة لنقل أحداث قصة إلى الجمهور والمتلقين، حيث

[1] جان برغيس: المخيلة، تر: خليل الجر، منشورات العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1984م.

* ديكارت: فيلسوف وعالم رياضي وفيزيائي فرنسي، ولد 31مارس 1596، توفي 1650.

** جان برغيس: هو سياسي فرنسي، ولد في 16فبراير 1907 في متز في فرنسا، توفي3أبريل 1945.

[2] جان برغيس، نفس المرجع السابق، ص264.

يقوم السرد بإيصال حقيقة أو حدث ما إلى نقطة معينة، وانتزاع الحدث اللفظي الصرف من الزمن المُعاش المتعدد والمتراكب، كما يقتلع التجربة الوجودية من جذرها، ويسعى لتشكيل روابط منطقية مع الأحداث والقضايا الأخرى، ليشكل الحركة العامة للعالم، ويبقى تراتيبه الإمبراطورية الخاصة بالوقائع[1].

ومن خلال السرد يتمكن الكاتب من إخراج تجربته من الأطر المكانية والزمانية المحدودة وسكبها في ذاكرة لا نهائية الاتساع وهي الذاكرة البشرية كلها، ومن خلال هذا السرد يدخل القارئ في عوالم اخرى مختلفة ثقافيا لا يعرفها غالبًا[2].

[1] ويكيبيديا، 15يوليو2020، أزهار عبد الغني، 21ماي، 2023، http//sotor.com

[2] أمبرتو إيكو، تأملات في السرد الروائي، تر: سعيد بنكراد، لمركز الثقافي، دار البيضاء المغرب، ط1، بيروت، لبنان، 2015، ص12.

الفصل الأول

المتخيل الصحراوي والسرد الرحلي

بعدما كان الفضاء المديني مستحوذا على الرواية ؛نظرا للحياة الضاجة في المدينة والتي تخلق ذلك التشابك والصراع في أحداث الرواية وعزوف الروائيين عن الفضاء الصحرواي، وذلك ألن الصحراء فضاء يمتاز بالفراغ والعزلة، فقد كسرت الرواية المغاربية هذا النمط باستحضار فضاء الصحراء في الرواية..

"إن الصحراء بما هو معروف أرض قاسية بمناخها، قاحلة بطبيعتها، فقيرة بإنتاجه الزراعي .... فالصحراء جزء من تراثنا الطبيعي، و إذا كانت الصحراء فقيرة في إنتاجها الزراعي و المادي ، فإنه ينظر إليها على أنها غنية بتراثها الثقافي و بإنتاجها الرمزي ، فإذا الصحراء قاحلة جرداء قد كانت دوما أوسع فضاء للتأمل و التفكير ، و كانت دوما أفضل موطن لنشأة للأساطير و الأشعار والحكايات، فمنذ القدم كانت الصحراء صور تخيلية ، فهي في النصوص الدينية فضاء للخلوة والعزلة... أي أنها فضاء ذهني و ميتافيزيقي مؤهل الاستقبال التعاليم الإلهية.

وقد قسمنا هذا الفصل للحديث على:

المبحث الأول: متخيل الصحراء وسرد الرحلي المفهوم والعلاقة.

المبحث الثاني: السرد الرحلي والمتخيل الصحراوي عند العرب والغرب

المبحث الأول: متخيل الصحراء وسرد الرحلي المفهوم والعلاقة.

1-تعريف المتخيل لغة واصطلاحا:

أ- **لغة:** جاء في لسان العرب: "**خيّل وتخله، ظنّه وتفرَّسه وخيَّل عليه: وأخَّال الشيء: اشتبه، يقال: هذا الأمر لا يخل أي ما شبهت يعني على غرر بين يقين، وقد يأتي خلت بمعنى علمت**"[1].

كما ورد في معجم العين لفظة خيل بمعنى الخَيل جماعة الفرس، لم تؤخذ من واحد مثل النبل والإبل.

والتخايل: خُيلاء في مُهلة[2].

ب- **اصطلاحًا:** إن للملكة الخيال أو المتخيل أثر هام في عملية الخلق الأدبي وفي عملية تشكله فكل التفاعلات مع الواقع الاجتماعي أو الأخلاقي أو المعرفي هي تعبير عن متخيل معين، يختلف باختلاف الواقع والمضامين، فعملية الإبداع والخلق وطيدة الصلة بالمتخيل الذي تصدر عنه، ولهذا الأخير دور كبير في إدراك المعرفة الجمالية للنصوص ومن تأويلها وفتح مغاليقها وفهم أسرارها وتذوق جمالها، ولقد أدرك الادباء منذ القديم اهمية الخيال أو المتخيل في عملية الخلق الأدبي[3].

فالمتخيل هو مصدر إبداع المبدع فوظيفته تتحقق من خلال الإبداع بصورة دائمة ومنظمة في ذهن المبدع عن طريق الحلم البناء، فكلمة المتخيل تعبر عما يماثلها من كلمة خيال، غير أن هذه الأخيرة أوسع وأرحب منها، إذن فالمتخيل سواء في الثقافة العربية أو

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، المجلد5، ط4، مادة خيّل، 2003، ص191.

[2] مراجعة الدكتور داود سلوم، كتاب العين معجم لغوي تراثي، مكتبة لبنان، ط1، ص360.

[3] فائزة بن خليفة، مصطلحات الخطاب والمتخيل عد محمد لطفي اليوسفي، بلقاسم مالكبه، مذكرة ماجستير، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية والآداب العربي، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2012/201، ص156.

الغربية له علاقة وطيدة بالخيال، كيف لا وهو يحيل إلى ما يوجد في الخيال المرء من معارف ومعاني، وأفكار وتصورات يمكن ترجمتها كوقائع فنية ومادية[1].

2- مفهوم الصحراء

تعرف الصحراء بأنها فضاء متسع جاف قليل النباتات والحيوان، لأنها لا مياه والحياة فيها تكون صعبة، وفي دراستنا سنقدم تعريف للصحراء من ناحية اللغة والاصطلاح.

أ- الصحراء: لغة:

وترد في لسان العرب لابن منظر في مادة صحر: «الصحراء هي الأرض المستوية في لين وغلظ دون القف، وقيل: هي الفضاء الواسع، زاد ابن سيدة: لا نبات فيه...وقال ابن شميل: الصحراء هي الأرض مثل ظهر الدابة الأجرد ليس بها شجر ولا اكمام ولا جبال ملساء...، ويقال صحراء بينة الصّحر والصّحرة، وأصحر المكان أي اتسع، وأَحَر الرجل: أي نزل الصحراء، أصحر القوم: برزوا في الصحراء، وأصحر القوم إذا برزوا الى فضاء لا يواريهم شيء...، والأصحر: قريب من الأصعب، واسم اللون الصحراء والصحرة، وقيل الصحر غبرة في حمرة خفيفة إلى بياض قليل، وأصحار النبت اصحرارًا أخذت فيه حمرة ليست بخالصة، ثم هاج فاصفر، فيقال هل أصحار، وأصحار السنبل، أحمر وقيل ابيضت أوائله»[2].

ويقدم لنا الزبيدي في معجم تاج العروس تقريبا المعنى نفسه الذي يورده لنا ابن منظور فيقول: الصحراء: «**الأرض المستوية في لين وغلظ دون القف، أو هي الفضاء**

[1] تزايدي العلجة، زيان وهيبة، المتخيل السردي في رواية بحث عن الآصال الغبريني، ص20.و

[2] ابن منظور: لسان العرب، المجلد الثامن(حرف الصاد والشين) مادة صحر، دار صادر، بيروت، ط1، ص2404.

الواسع...والأصحر قريب من الأصهب...والصحر(غبرة في حمرة خفيفة)، وقيل: الصحراء حمرة تضرب إلى غبرة ورجل وامرأة صحراء في لونها[1]«.

ب- الصحراء اصطلاحا:

اختلف العلماء والباحثون في تحديد مفهوم الصحراء، وذلك باختلاف تصور كل واحد منها، فهناك من يطلق اسم الصحراء على: «**كل منطقة جغرافية تخلو وينذر فيها النبات، فالصحراء تعريف نباتي لا مناخي، كما تخلو ويندر فيها البشر إلا في الواحات، حيث تتوافر المياه ويقل فيها تساقط المطر اقل من خمسة وعشرون ملم سنويا، لذللك تقل فيه الحياة، ويعيش فيها أناس تأقلموا على تلك الظروف القاسية، يطلق عليهم في الوطن العربي البدو**»[2].

يبدو من خلال هذا التعريف أن البيئة الصحراوية تكاد تنعدم فيها ظروف العيش، وذلك ناجم عن طبيعة مناخها الحار صيفا والشديد البرودة شتاءًا، مما جعل المنطقة ومعظم البشر(البدو) الذين يقطنون فيها لا يقر لهم قرارا فيها فهم يرتحلون باستمرار تبعا للمكان الصحراوي المتحرك باستمرار أيضا، فلا يمنح للمقيمين فيه أسباب استقرارهم الحياتي والعمراني لجدب وفقره، وعدم التزام موارده المائة باستثناء مكان الواحات الذين تتوافر لديهم كميات شحيحة من الماء تسمح لهم بالعيش فيها.

وهناك من العلماء من يربط مفهوم الصحراء بالخصائص العامة التي تتميز بها البيئة الصحراوية، ويشمل هذا جوها الشديد الحرارة والقليل المطر، وبالتحديد المناطق التي تقل فيها كمية المطر عن 25 سنتيمترا سنويا[3].

[1] محمد حسين الزبيدي، تاج العروس، الجزء الثالث، دار الفكر، بيروت، ط1، 1994، ص326.

[2] مجموعة من العلماء والباحثين، الموسوعة العربية العالمية، حروف(الصاد، الضاد، الطاء، الظاء)، المجلد الخامس عشر، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط2، 1999، ص15.

[3] يوسف السويدي، الصحراء أرض صامتة تنبض بالحياة، دار الإعلام، عمان، الأردن، ط1، 2006، ص12.

3- مفهوم السرد

أ- **لغة:** ورد في معجم العين سرد القراءة والحديث يسرده سردًا، أي يُتابع بعضه بعضا.

والسَّرد: "اسم جامع للدُّروع ونحوها من عمل الخلق، وسُمي سردًا، لأنه يُسرّد فيثقب طرف كل خلقة بمسار، فذلك الخلق المسَّرد، **قال الله عز وجلّ: «وقدر في السَّرد»**[1]، أي جعل المسامير على قدر خروق والزَّراد والمسّرد، قال: كما خرج السَّراد من الثقال وسميت النقل المخصوفة اللسان مسردًا.

وسُمي الزردا سرادًا لأن السين قريبة من الزاي، كما قالوا للأسد: أزد، فإذا صُغر أزد، رجعوا إلى السين فقالوا: أسيد[2]

أما في القاموس المحيط، فوردت بمعنى النسخ والسبك، السرد "الخرز في الأديم، كالسَّراد بالكسر، والثقب كالتشريد فيهما، ونسخ الدرع، واسم جامع للدروع وسائل الخلق، وجوده سياق الحديث وعلى بيلا أنرد ومتابعة الصوم"[3].

ب- **اصطلاحا:** يمثل السرد الطريقة أو الكيفية التي تروي بها القصة، وما تخضع له من مؤثرات تتعلق بالراوي والمروي عليه، أو بالقصة ذاتها، "وجوهر العملية السردية يقوم على إعادة تشكل الواقعية الحقيقية أو الخيالية، أي الطريقة التي بها وصف الأفعال بعلاقاتها المختلفة وتشعباتها، وتقع مهمة انتقاء الآليات والتقنيات في توصيف الأفعال وتوصيلها غلى المتلقي على عاتق السارد الذي يحدد من خلال إدراكه للحكاية الكيفية التي يتم بها نقل الواقعية."

---

[1] سورة سبأ، الآية(11).

[2] داود سلمان العنبكي، د. إنعام داود سلوم، كتاب العين معجم لغوي تراثي، ترتيب ومراجعة الدكتور داود سلوم، لبنان، ناشرون، ط.

[3] الفيروز آبادي: القاموس المحط، تج: مكتب تحقيق التراث، محمد تميم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط8، 2005، ص288.

والسرد تعريفات شتى تتركز في أنه الطريقة التي تروي بها القصة، ومنها أنه: «**عملية يستطيع الشخص من خلالها أن يتواصل مع غيره، ضمن إطار قصصي "الحكي"، مثل: رسالة يرسلها الشخص إلى غيره، فيكون عندها المرسل والسارد، والمرسل إليه هو المسرود عليه، والسرد هو الرسالة أو اللغة أو الطبيعة اللفظية التي من خلالها تنتقل هذه الرسالة**»[1].

والسرد هو الكيفية التي تروي بها القصة عن طريق "السارد أو الراوي" تحت تأثير عدد من العوامل المتعلقة بالسارد أو المسرود له أو النص، وهو مصطلح نقدي الغرض منه نقل الحديث والموضوع من صورته الواقعية إلى صورة لغوية مكتوبة أو منطوقة[2].

وكذلك هو الخطاب غير منجز وطريقة تروي بها القصة، فهو مجموعة الأحداث المروية من الحكاية أو الخطاب الشفهي أو المكتوب، وهو الفعل الواقعي أو الخيال الذي ينتج عن عملية الرواية[3].

4- مفهوم الرحلة.

أ- **لغة:** تكررت المعاني اللغوية لكلمة "رحلة" في العديد من المعاجم اللغوية العربية، والتي تعني انتقال شخص أو أشخاص من مكان إلى آخر، هذا معنى الثابت لمصطلح رحلة، إذ نجد انها توزعت وتنوعت في العديد من المراجع كالآتي:

ففي كتاب معجم العين نجد لفظة رحل الرَّاحلة: المركب من الإبل ذكرًا كان أو انثى، ورحلتُ بعري أرخله رحلاً، وارتحل البعير رحلةً، أي سار فمضى، ثم جرى في المنطق حتى يقال: ارتحل القوم.

---

[1] إسلام ربيع عطية، تقنيات السرد السير الذاتي في رحلة ابن العربي، ترتيب الرحلة للترغيب في الملة، جامعة المنصورة، العدد السبعون، يناير 2022، جامعة المنصورة، كلية الآداب، ص111، 112.

[2] علي كنجي، انخناري، السرد واللغة في رواية التلمص لصنع الله إبراهيم، ص92، 93.

[3] حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، آب1991، ص16.

والرّحيل: اسم الارتحال للمسير، والمرتحل: نقيض المحَلّ، قال الأعشى: إن محلاً وإن مرتحلاً

يَريد: إن ارتحالا وإن حلولاً

وقد يكون المرتحل اسم الموضع الذي تحل فيه وترحل القوم: وهو ارتحال في مهملة ورَحِل

الرَّحل: منزلة ومسكنه، يقال: أنه لخصيب الرَّحل، ورَحلته بمكروه أرحله، أي: ركبته بها.

والمُرحَّل: ضرب من برود اليمن، سُمي به لأن عليه تصاوير رحل وما يشبهه قال **في المُرحَّل:** على أثر بنا ذيل مِرط مُرحل .

العرب تقذف أحدهم وتكفي فتقول: يا ابن مُلقى أرحل الركبان، **(رواحيل: اسم أم يوسف عليه السلام)**[1].

وفي معجم مقاييس اللغة لابن فارس:" رحل": الراء والحاء واللام أمل واحد يدل على مضى في سفر، يقال: رحل يرحل رحلة، والرحلة الارتحال ورحله، إذا أضعته من مكنه، كما في لسان العرب فنجد: رحل الرجل، إذا سار، ورجل رحول وقوم رُحل أي يرتحلون كثيرًا ورجل رحال حاكم بذلك ومجيد له والترحل والارتحال لانتقال والرحلة اسم للارتحال وحبل، كما نجدها في القاموس المحيط ارتحل البعير سار ومضى، والقوم عن المكان: انتقلوا، كي ترحلوا، والاسم: الرحلة والرحلة بالضم والكسر الوجه الذي يقصد والسفرة الواحدة.

إذن فمعاجم اللغوية تشمل كلها معنى الرحلة بأنها انتقال من مكان آخر وما يفسر بأن الرحلة دائمة ومستمرة باستمرار هذه الحياة.

[1] د. داود سلمان العنيكي، د. إنعام داو سلوم، كتاب العين معجم لغوين تراثي، ترتيب ومراجعة الدكتور داود سلوم، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، ص291.

ب-**اصطلاحًا:** أما المفهوم الاصطلاحي لكلمة رحلة فلا شك أن تعريفها متعذر الضبط نظرا الاعتبارات عدة، أبرزها تعدد مضامينها وأساليبها وتداخلها مع خطابات أخرى: فهي إلى حد كبير تعد من المصطلحات الفضفاضة والهجينة في الوقت نفسه، فهي موضوعين كبيرين هم بالأدب جهة والرحلة من جهة أخرى، وإذا كان الأدب عمومها، فهي تحمل في طياتها مصدرا تغني به مجموعة من العلوم كالجغرافيا والتاريخ والاجتماع والاقتصاد والانثوغرافيا، لأن الكاتب يسقي المعلومات والحقائق من المشاهدة الحية والتصوير المباشر[1].

بالإضافة إلى كونها أدب فهي تشكل باقة من الأجناس الأدبية التي تتداخل وتشترك معها في عدة خصوصيات كالسيرة الذاتية والتراجم والحكايات والرسائل والتصوف والكرامات والشعر...إلى بل هي: تتسع لأكثر من ذلك، فهي من فنون القول الذي ستعرض غلى جميع نواحي الحياة أو كاد فالرحلة نصا يمزج بين شكله الأدبي ومضمونه العلمي تتكامل لتشكل نمطا خاصا من انما القول الأدبي يتميز بها من سائر الأجناس الأدبية الأخرى، بل أكثر وظيفية من هذه الأشكال[2].

5- تعريف السرد الرحلي:

«هو أدب يقوم على السرد القصصي يضمنه الكاتب الرحالة مشاهداته وانطباعاته في البلاد التي يزورها، وهي تقوم على وصف الطبيعة الجغرافية، أو نبذا عن التاريخ أو عادات الناس وتقاليدهم وأنماط عيشهم وتفكيرهم، وهذه الأمور تكون في بعض الأحيان مرجعا وثائقيا هامًا، وموضوعًا للدراسات المقارنة في مختلف المجالات الفكرية الأدبية والحياتية، ومن شروط أدب الرحالة دقة الملاحظة وتحري الحقيقة، وسهولة الرواية وحسن التصرف»، وهي من الصفات التي يجب أن تتوفر في الرحالة.

هو نوع من الأدب يصور فيه الكاتب ما جرى له من أحداث وما صادفه من أمور أثناء رحلة قام بها لأحد البلدان، كما تعد أدب الرحلة وعاءً معرفيا يضم مختلف انواع الثقافة

[1] عيسى باختين، أدب الرحلة الجزائري الحديث(مكونات السرد)، دار هومة للنشر والتوزيع، 2014، ص15.

[2] عيسى باختين، نفس المرجع السابق، ص15، 47، 48.

الإنسانية، وهو الوصف الأكثر تعبيرًا والأنسب معنى، حين يتحدث أحد عن ترابط المجتمعات وتأثرها ببعضها وتلاقح الحضارات واشتباك ثقافاتها، ففي أدب الرحلة مادة خصبة لكل المهتمين بالتاريخ، والنظم السياسية، وأنماط الحياة الاجتماعية، وقد رصدت من خلاله آثار التمايز والتأثر والتأثير بين الحضارات والشعوب، وما كتب فيها يعد وثائق إنسانية مهمة لتبيان الحقائق والاطلاع على روافد المعرفة ومخرجاتها[1].

6- العلاقة بين سرد الرحلة والمتخيل:

كثيرا ما تكون الرحلة مجالاً خصبا لاستثارة المتخيل ولإثرائه، لذا كان الأدب الرحلي غنيا بالتخيلات التي يصنعها العامل الإغرابي لواقع الرحلة، فالمسافر الكاتب يمكنه أن يشرك القارئ في عالمه الإغرابي والعجائبي.

لذا يمكن اعتبار أدب الرحلات أو سرد الرحلات إرهاصًا أوليا للروايات التي تناولت ظاهرة الهجرة والارتحال، فالمتخيل الرحلي ناشط في هذا النوع من الروايات صحيح أن هناك فرق بين أدب الرحالة والأدب المنهاج أو الروايات الهجرة المعاصرة، باعتبار أن الأول يقوم على المشاهدات ومقارنة العادات والتقاليد فيما بين البلد الام والبلدان المقام بها لفترة قد تطول أو تقصر.

أما رواية الهجرة فهي مرتبطة بظاهرة الهجرة وما يستتبعها من تعقيدات سوسيولوجية وسيكولوجية: التخلف، التسلط، الاغتراب، الاستلاب، الحنين، التصادم، الحوار...وليدة الحداثة والتطور المدني والصناعي، لكن هذا لا يمنع وجود علاقة بين أدب الرحلات الذي كان له السبق زمنيا، ورواية الهجرة المرتبطة بالحداثة وما بعدها، فكلاهما ينشط المتخيل، ويبعث على الحكي، ويثير فتنة السرد، يستثير الحنين غلى الموطن الأول، فالملاحظ أن ألفاظ: رحلة ورحيل وارتحال والراحل(المتوفي)، كلها تدغدغ دلالات الشوق والحنين والغربة[2].

[1] فوار الشعار، الموسوعة الثقافية العامة، إشراف: إميل يعقوب، ط1، دار الجيل، بيروت، سنة 1420ه/1999م، ص197.

[2] قاسمي حكيم، مجلة الأثر: المتخيل الرحلي والنص الروائي المعاصر، جامعة الجزائر2، ص109.

المبحث الثاني: السرد الرحلي والمتخيل الصحراوي عند العرب والغرب.

أولا: السرد الرحلي

1-عند العرب:

إذا كانت الرحلة بدأت منذ آدم عليه السلام وتواصلت مع البشر أينما كانوا، وتأكدت على يد الصينين والهنود والمصريين واليونانيين قبل آلاف السنين، وخلقت هذه الحضارات بعض الكتابات له أشهرها ما تركه (هيرودوتHEREDEUT)*

لكن العرب الذين انطلقوا بعدهم، وسجلوا أغلب رحلاهم، تفوقوا على من سبقهم، ومن جاء بعدهم، في عدد المرتحلين، والأقطار التي بلغوها، وما كتبوه وما عرفوه وما أبدعوه وسلوه في مادة ثقافية غزيرة ونادرة ولذلك كله قصة[1].وقد كان للقبائل رحلات وللأفراد أسفار ذُكر بعضها في الشعر، فكانت رحلات الشعراء إلى الجيزة ودمشق وبلاد الروم، حتى بلغ امرؤ القيس القسطنطينية ونسب إلى الشعر قاله في أنقرة، وكان لقريش رحلتان إحداهما في الصيف والأخرى في الشتاء[2] اللتان ورد ذكرهما في القرآن الكريم قال عز وجل: «**لإيلاف قريش1 إيلافهم رحلة الشتاء والصيف2 فليعبدوا ربَّ هذا البيت 3 الذي أطعمهم من جوعٍ وآمنهم من خوف4**»[3]

* هيرودوت425)HEREDEUTق. م/484ق. م): هو أول إغريقي في التاريخ يطلق اسم فلسطين على إقليم فلسطين، وكان ذلك في القرن الخامس قبل الميلاد، عُرف بفضل كتابه الذي يصف أحوال البلاد والأشخاص التي لاقاها في ترحاله حول حوض البحر المتوسط.

[1] محمد بن سعودا الحميد، موسوعة الرحلات العربية والمعربة المخطوطة والمطبوعة، معجم بيبلوغرافي، فهرسة دار الكتاب والوثائق القومية أثناء النشر، الطبعة الأولى، 1428هـ/2007م، ص17.

[2] أحمد بن فضلان العباس بن الراشد حماد، رسالة بن فضلان، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، المطبعة الهاشمية، 1376هـ/1960م، ص13.

[3] سورة قريش من كتاب القرآن الكريم، الآيات ص1إلى ص 4.

ولما جاء الإسلام وتوهج نور الدعوة الإسلامية، أخذ المسلمون يجوبون البلاد واندسوا في أرجائها وميادينها، جهاد في سبيل الله وإعلاء لكلمته، قال العرب الأمم التي سبقتهم فيما خلفوه من آثار في ميدان الرحلات، وساعدهم على ذلك اتساع رقعة الدولة الإسلامية، فلقد كانت رحلة العرب المسلمين فتوحاتهم الكبرى من الرحلات الهامة التي امتدت، لتشمل أصقاعا واسعة من الأرض، ليكون بعد ذلك هذا لاتساع في حدود العلم الإسلامي والثقافة العربية الإسلامية من أكبر الدواعي إلى امتلاء نفوس المسلمين على اختلاف طبقاتهم بحب الأسفار غلى الأمصار وامتداد أنظارهم إلى الآفاق البعيدة والتوغل فيها، وشق قلب الصحراء، الأمر الذي يؤكد الخبرة البرية والبحرية والجغرافية للعرب وغيرهم من الشعوب المجاورة التي أسلمت، إذ تتطلب غدارة شؤون البلدان والمناطق المفتوحة ومعرفة تامة لأحوالها المختلفة، وبالتالي فقد كان دور المؤرخين والكتاب وصف تلك المناطق والبلدان ووضع المعاجم الخاصة بها.

وهذا كله بعد مجيء الإسلام الذي وسع بدوره آفاق الرحلة العربية وعدد دوافعها، وبهذا بلغت ذروتها وارتفع شأنها وقيمتها وخصوصا خلال فترة الفتوحات الإسلامية وما تلاها من عصر الاستقرار والازدهار والمعرفة والحضارة حتى مشارف القرن الخامس الهجري، هنا بدأت معالم التدهور تصيب كافة مجلات الحياة، بما في ذلك الرحلات التي خبأ نشاطها تدريجيا وهزلت مادتها، فيما عدا بعض الاستثناءات التي نذكر من بينها رحلات أبي عبد الله اللواتي، الشهير بابن بطوطة(703 779هـ/1304 1477م) والمؤرخ الرحالة عبد الرحمان بن خلدون (732 8080هـ/ 1334 1406م)[1].

[1] أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع هجري، دار المأمون للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1481هـ/2008م، ص20.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن ابن خلدون قد نوه بأهميته الرحلات، فأورد ذكرها في مقدمته الشهرية، إذ قال: والرحلة لا بدَّ منها في طلب العلم، ولاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرحال[1].

وقد مثل الرحالة الأندلسي محمد بن جبير(ت614هـ) أحسن تمثيل الاتجاه الأدبي، برحلته المعنونة: تذكار الأخبار عن اتفاقات الأسفار، التي وصفها الدكتور حسني محمود حسين بقوله:" إن هذه الرحلة تحوي بعض المعلومات التي لا يستغني عنها مؤرخ، أو جغرافي أو أديب يريد ان يدرس هذه الفترة المهمة من حياة الشرق الإسلامي، وقد رفع بها صاحبها هذا الضرب من الصباغة الأدبية إلى درجة عالية"[2].

أفادت رحلة بن جبير في موضوعها وصياغتها الكثير من المؤلفين المقاربة والأندلسيين، ممن جاؤوا بعد الرحالة من بينهم علي بين سعيد الأندلسي (ت685) مؤلف كتاب المشرق في حلى المشرق ومحمد العبدري 688هـ صاحب الرحلة المغربية وابن رشد السبتي الأندلسي 711هـ مؤلف رحلة ملئ العيبة، فيما جمع بطول العيبة[3].

أما محمد بن إبراهيم اللواتي المعروف بان بطوطة (ت776هـ)، فقد فاق ابن جبير شهرة واتساعًا في رقعة الرحالة بكتابة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، حتى عدّ أشهر الرحالين شرقا وغربا، وقد رأى احد الباحثين، أن فيما عدا هيرودوت لم يشهد الفكر اليوناني أو الروماني رحلة من طراز المقدسي أو المسعودي أو الإدريسي أو ابن

[1] حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة كتب ثقافية شهري يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت 1989م، ص79.

[2] د. سميرة الساعد: الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، (د ط)، عامة 2009، ص42.

[3] المرجع السابق، ص43.

حوقل، وإضافة إلى هؤلاء نذكر كذلك من رحالي القطر المغاربي: عبد الرحمان بن خلدون)ت808هـ) صاحب التعريب بابن خلدون ورحلته شرقًا وغربًا[1].

ويلاحظ المتتبع لمسار التأليف في الرحلات العربية، إضافة غلى تحول منهج الكتابة وأسلوبه، انتقال التأليف ابتداءا من القرن السادس الهجري من المشارقة إلى المغاربة، الذين عرفوا بعد خوضهم في مجال التأليف يتفوقهم في أدب الرحلات وتركيزهم في مؤلفاتهم على تسجيل اخبار الأدباء والعلماء في كل قطر زاروه[2].

2-عند الغرب

بعد احتكاك الأوربيين بالحضارة الإسلامية في كل من إسبانيا وصقلية وجنوب إيطاليا من الدلائل القاطعة التي تبرهن على مدى تأثير المسلمين في أروبا ومدى فضلهم على تقدمها[3]، وكان مفهوم الترحال من أجل العلم والمعرفة تبلور منذ القرن السادس عشر الميلادي، ويهدف في الأساس إلى جمع المعلومات الجغرافية ودراسة عادات الشعب وأحوالهم المعيشية والسياسية، وكان الرحالة الغربي يوصف بأنه رجل متحضر، لديه تطر راق للحياة وهو صاحب رسالة حضارية، يريد نشرها في أوساط الشعوب المختلفة، وقد عكف على التجوال والترحل ليدون مشاهداته السياسية وأخبار المناطق التي يزورها لصالح الحكومات أو المؤسسات التي أوفدته.

وكان أدب الرحلات عند الغربيين يعد امتدادا لحركة الاستشراق "**وهو جزء من تراث الإمبراطوريات الغربية المستعمرة، التي كانت لا تزال تحرص على دوام مصالحها في البلاد**

[1] نفس المرجع السابق، ص43.

[2] المرجع نفسه، ص44.

[3] د. عبد القادر موسى، الشرق بمنظار الغرب، كتابات الرحالة الأوربيين أنموذجا، مجلة الفكر الثقافية، العدد12، اكتوبر 2015، ص22.

الأخرى، فحتى الرحلات ذات الطابع العلمي الاكاديمي كانت مرتبطة بالسياسة اكثر ارتباطهم بالعلم والحضارة"[1].

وكان أدب الرحلات عند الغربين "عظيم الفائدة، ولا يضاهي في تنوعه ومجالاته" على الرغم من الغموض الذي يكشف دوافعه الحقيقية، حيث يلتقي في هذا المجال العلم بالأدب والفلسفة بالتاريخ والاقتصاد بالسياسة، وتشمل كتب العلماء ورجال الدين والسياسة والعسكريين[2].

والمخبرين الذين زاروا المنطقة على ركام هائل من المشاهدات والأبحاث الدقيقة، التي تتناول السكان والعمران والنبات والحيوان، ونرسم الخرائط ومواقع المدن الأثرية، وتحدد الطرف ومواطن الثروات، ومن أسماء هؤلاء لودو فيكو فارتيما وجوز نهابيتش ووليام جيفورد بالجريف وتشارلز دوني وهاري سنتاون فيلبي، بالإضافة إلى نادين يلبليشونيبور وبركهار وبيرتون[3].

استغرقت عمليات سفر الغربيين وترحالهم في جزيرة العرب قرابة أربعة قرون، بدأت مع نهاية القرن التاسع الهجري الخامس عشر ميلادي، وانتهت في النصف الأول من القرن الرابع عشر هجري العشرين الميلادي، أما بعد ذلك من رحلات فإنها تدخل في باب العمل الرسمي، إذ تحدها قيود ومواثيق واتفاقيات رسمية لا تدخل في باب الرحلات، مثل البعثة الاستكشافية العلمية بقيادة كونز كريكمانز المتخصص في اللغات السامية[4].

[1] المرجع نفسه، ص6.

[2] نفس المرجع السابق، ص6.

[3] المرجع نفسه، ص7.

[4] المرجع نفسه، ص8.

تتميز رحلات الغربيين إلى بلاد الجزيرة العربية ومدتها في القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين بكونها ذات طابع فردي، ويكشف أهدافها الغموض، وكانت مجملها تتصف بالخطورة، ولكن نتائجها لا تخلو من الفائدة العلمية.

أما رحلات الغربيين في القرون اللاحقة، فهي رحلات ذات طابع ديني تبشيري، أو ذات طابع عسكري، أو ذات سمة سياسية رسمية، أو حادث لأغراض علمية واستكشافية، وفي العموم نظر الرحالة الغربيون الى الأماكن التي زاروها من منظورهم الخاص، لذا أوردوا بعض الملحوظات التي قلما أثارت أنتباه الرحالة العرب الذين زاروا الأماكن نفسها[1].

ولا بد في هذا السياق من الإشارة إلى جمل الرحالة الغربيين الأوائل ببلدان الجزيرة العربية، وهم في بعض هذا معذورون، ذلك أن أعمال الجغرافيين والرحالة المسلمين لم تترجم إلى اللغة اللاتينية، وهي لغة العلم والثقافة في أوروبا إلا في القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر ميلادي، وبهذا لم يتمكن الرحالة الغربيون الذين زاروا الجزيرة العربية قبل ذلك التاريخ من الاطلاع على ما كتب عن الجزيرة العربية[2].

ثانيا: المتخيل عند العرب والغرب

ينفتح الأدب على عوالم تخييلية يصنعها الكاتب استنادا إل الواقع الذي يفيد تشكيله بصور جديدة انطلاقا من مخيلته وإبداعه الخاص، وذلك يتحقق من خلال البحث في خصوصية العمل الأدبي وكيفية توليد جمالياته الفنية داخل النصوص السردية، ولذلك لجأ الأدب إلى توظيف أشياء عجيبة غير مألوفة تأخذهم إلى عالم خيالي سحري تاركين وراءهم حدود الواقع وصرامته فوجدوا في المتخيل فسحة للجمال ومجالا للإبداع.

[1] نفس المرجع السابق، ص8.

[2] المرجع نفسه، ص9.

1-المتخيل عند العرب:

لقد تعددت الآراء والأفكار حول دراسة المتخيل، وتنوعت مفاهيمه وتشعبت مدلولاته، وهذا بعض الآراء والتعريفات للمتخيل من قبل الأدباء العرب.

عرف **العربي الذهبي** المتخيل على أنه: «**تقديم عرض خيالي، ليشمل الكيانات والأحداث وحالات الوقائع أي مجموع الأفعال والأشياء التي يرتكز حولها انتباهنا أثناء العملية الخيالية في إطار زماني ومكاني**»[1].

ويقصد العربي الذهبي بقوله أن المتخيل هو عملية خيالية بمعنى أنه عرض يصنعه الخيال يضم مجموعة من الأحداث والافعال والأشياء التي تشد انتباهنا ونلاحظها من خلال زمان ومكان معينين.

ويرى محمد نور الدين أفاية أن المتخيل: «يتجاوز الموجود ويتخطاه، ولكنه يتمثل في كل لحظة المعنى الضمني للواقع...والمتخيل بالرغم من تعاليه على الواقع، إلا أنه يظل حاضرا في الحياة ولحظات التواصل اليومي»[2].

بمعنى أن المتخيل يعمل على تفكيك الواقع وإعادة تركيبه من جديد، أي أنه لا ينطلق من العدم بل من الواقع فيبدو لنا في ظاهره أنه يتجاوزه ولكنه يتجسد في مضامينه ويعيد تشكيله في صور جديدة، أي ان الخيال تكون مادته الخام هي الواقع الذي يتم الانطلاق منه، وهناك من ينطلق من الجانب النفسي في تعريفه، فيقول بأن: «**المتخيل له قدرة هائلة على استدعاء المكبوت والمعطل وتعريفة رصانة الواقع المزعومة**»[3].

---

[1] العربي الذهبي، شعريات المتخيل، مكتبة الأدب المغربي، الدار البيضاء، ط1، 2000، ص152.

[2] محمد نور الدين أغاية، المتخيل والتواصل، دار المنتخب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1993م، ص18.

[3] محمد مصيص، المتخيل الفجائي والغرابة، (قراءة في التجربة القصصية لأحمد بورفور، مجلة الكلمة، العدد 8، ديسمبر 2012م، ص1.

مما يدل على أن المتخيل يمكنه الغوص في خبايا النفس واستحضر مكوناتها واستنطاق مكوناتها المعطلة والمنجمة في الذات في زمن ما.

وعليه فإن كل ناقد له رؤيته الخاصة، التي ينطلق منها لضبط مصطلح ما، فهناك من يركز على الطريقة وهناك من يهتم بالموضوع أو التصوير وبهذا تعددت المفاهيم والرؤى حول مصطلح المتخيل.

2- المتخيل عند الغرب:

ظهر مصطلح المتخيل عند الغرب في كلمة(image) (imagination)، حيث ارتبط الخيال بالصور وهو: «**ملكة يتوافر عليها الذهن للتخيل لاستعادة صور أو إبداعها ومنه يمكن الحديث عن الخيال المعيد والخيال المبدع**»[1]، بمعنى أن المتخيل هو ملكة ذهنية تقوم باستعادة واسترجاع صور ماضية أو إبداع صور جديدة، حيث ارتبط مفهوم الخيال بالعقل الذي يعد مصدرا للإبداع وإنتاج الصور المخيلة.

ويرى **جون جاك وينبورغر** (Jean Jacques Wunburger) أن «كلمة مخيلة في اللغة الفرنسية تعني الإنتاج الذهني للتمثيلات المحسوسة التي تختلف عن الإدراك الحسي للحقائق المعينة من جهة وعن مفهمة الأفكار المجردة من جهة اخرى»[2]، حيث جاءت كلمة المتخيل في اللغة الفرنسية للدلالة على الإنتاج الذهني بمعنى أن المتخيل هو عملية تنتج في الذهن وهي عكس الإدراك والأفكار المجردة.

[1] رشيد كلاع، الخيال والتخيل عند حازم القارطاجني بين النظرية والتطبيق، (بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي)، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005/2004م، ص2.

[2] محمد كحيل، الفلسفة والمتخيل، الملتقى الوطني للأساتذة، (د.ع)، المدرسة العليا، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، الواقع والآفاق، (د ت)، ص3، 4.

الفصل الثاني

تجليات المتخيل الصحراوي والسرد الرحلي في الرواية

ملخص الراوية:

تدور أحداث الراوية في أربعة أفضية أساسية هي " مارسيليا، باريس حاسي خليفة، البادية".

يبدأ الكاتب روايته بتقنية الاسترجاع يستذكر ذكرياته مع مريم ثم يسترجع ذكريات الكنيسة، فالبطل "ميرسيو" كان قسيس في بدايات حياته مؤمنا بالمسيحية ومعتقداتها حدا النخاع لتزعزع إيمانه بها بعد التجاوزات التي رأها بين جدران الكنيسة كذا بسبب انتقادات خاله "ديفيد" للمسيحية صوب الإلحاد وتبدأ أحداث الراوية في فضاء باريس بعبثية وتحرر من كل قيود الدينية والاجتماعية بيد أن الخيوط من الإيمان بقيت تتعص عليه اشتغل "ميرسيو" صحافيا في إحدى الجرائد لقيت مقالاته في الإلحاد رواجا كبيرا بين صفوف الجماهير انتقل "ميرسيو" للعيش في سواحل الجزائر بعد أن ذهب في رحلة سياحية مع خاله أين توفيت والدته في أحد دور العجزة. لكن استقباله لموتها كان بلا مبالاة وعبثية. لتنتهي رحلته في الجزائر العاصمة بعد قتله للعربي والحكم عليه بالإعدام فتم تهريبه من قبل خاله صوب الصحراء وبالضبط إلى منطقة " حاسي خليفة أين كانت منعرجا حاسما في حياته. اختبئ عند صديق خاله مختار الخياط هروبا من الإعدام وفي الصحراء الجزائر انتهت رحلته مع الإلحاد بعد لقاءاته المتكررة مع سي لمين الذي غير مجرى تفكيره بنقاشاته المنطقية والعقلانية وطيف مريم الذي علمه الحب العذري الذي كان يفتقده في حياة المدن انتقل "ميرسيو" إلى بادية الصحراء وبدأت رحلته مع التأمل والوجود لتبدأ رحلة الشك والتساؤلات ويخرج من صحراء الجزائر مؤمن موحد فيقول الكاتب علة لسان بقي (ما أعجب الاقدار أذهب لصحراء ملحد فتردني مؤمن)!

المبحث الاول: المتخيل الصحراوي في الرواية

أولا: مظاهر التجلي المتخيل الصحراوي

اشتغلت الصحراء منذ القديم باعتبارها فضاء طبيعيا والسوسيو الثقافي فكر ابنائها الذين يقطنون فيها ويعرفونها حق المعرفة كما استأثرت مخيلة الاجانب بفضل سحر طبيعتها الخلابة وما تحويه من ثروات وكنوز باطنية ومن هنا لا مجال لشك إن قلنا أن لكل بيئة المقدرة الفائقة على اثارة الخيال الفني وشحذ "المتخيل"، فتكون بذلك فعاليات تخيل الفني وآليات صدوره عن بيئة ما تخضع لعديد من العوامل وآليات المتراكمة.[1] من مظاهر تجلي التخييل في راوية الملحد:

1- وجود شخصيات خيالية كالشخصية مريم:

فقد ظهرت مريم في الرواية بصفة فتاة فائقة الجمال جعلت من شخصية الرواية "ميرسيو" يقع في عشقها وسحر عينيها زرقاوتين، حيث كان في البداية يشعر بها وكأنها كتلة سوداء تقترب نحوه وتختفي فجأة بعد ذلك تم القاء بها وجرت بينه وبينها حوارات واحاديث غيرت في نفسه اشياء كثيرة حيث كان اللقاء يتكرر كل يوم في ضيعة "مختار" بين نخلتين تحت ضوء القمر حتى يكتشف ميرسيو في نهاية ان كل هذا مجرد خيال وان من كان يسهر معها الليالي هي مجرد روح لفتاة ماتت منذ بضع سنين دون ان يعلم أنه السبب في موتها وذلك بانها عشقته منذ راته لما زارهم اول مرة وماتت من شدة حسرتها على رحيله (عند المساء تركتهما يتسامران، وخلوت بنفسي في ضيعة مختار مستلقي اراقب القمر... بينما أن كذلك إذ لمحت كتلة سوداء قرب بيت المختار تتحرك نحوي...، حتى اختفت، حتى شعرت أن ذلك الشيء يراقبني من بعيد فتذكرت ابنة مختار التي ظننت انها

[1] مقداس رزيقة، الصورة- الصحراء في الخطاب الروائي المغاربي، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه (ل.م.د)، 2021-2022، ص 128.

كانت تراقبني قبل بضعة سنين...، فلما دنت من النخلة برزت لها فإذا هي شابة فاتنة لها[1] بشرة بيضاء منعمة وعينان واسعتان كأنها خلقت نفسها كما تشتهي....، أخبرني ان مريم ميتة منذ أعوام وانني سبب موتها....!! أوضح: لقد رأتك مريم لما زرتنا لأول مرة.... فتنت بك حد الموت عشقا، فقد كنت فاتحة قلبها وخاتمته...)[2] ومنه وبالرغم من أن شخصية مريم كانت مجرد خيال في الرواية إلا أن الراوي استطاع أن يجعل منها من أبرز وأهم الشخصيات، فقد كان لها دورا بارزا ومهم وظهر ذلك بتأثيرها على شخصية البطل في الرواية حيث أثرت فيه بكلامها وبشكلها وبكل ما فيها واستطاعت أن تغير الكثير فيه لدرجة أنه تخلى عن كل معتقداته السابقة واتضح كل شيء أمامه خاصة عبارتها التي تكرر قولها دائما (أقدار الله فوق كل شيء)

وكذلك يظهر المتخيل جليا في الراوية عند زيارة البطل "ميرسيو بقي" صحراء حاسي خليفة مع المختار ورفاقه، فالصحراء كانت بالنسبة له مكان غريب لأنه أول مرة يزورها وما زاده شوق لها هو أن مريم أخبرته بأنه سيكتشف فيها الكثير من الأسرار، فبعد أن بقي وحيدا في الصحراء بسبب الرياح القوية التي فرقته عن جماعته لم يجد أنسة إلا في الحيوانات والحشرات الصحراوية التي كانت حوله، مما دفعه إلى تأملها واكتشاف أسرار وجودها وهنا يتجلى المتخيل الصحراوي.

2- العقرب:

وجد ميرسيو بأن العقارب لا تخرج إلا في الليل، وتساءل عن طريقة إبصارها فوجد أنها لا تبصر لا بالليل ولا بالنهار بل تستخدم الشعيرات التي على جسمها لمعرفة طريقها واصطياد فريستها، فتعجب من أمرها وتساءل (كيف يهتدي العقرب إلى جحره دون بصر) وبعدها شهد لعقربين أحدهما أضخم من الآخر نكاحا إلا أنها جهل هذا في البداية واعتقد

[1] عبد الرشيد هميسي، الملحد (حي بن يقظان)، دار ميم للنشر، الجزائر، 2022، ص 74.

[2] الرواية ، ص 35.

بأنه عراك ثم فهم من حركات التودد والتلاطف بأنه نكاح: (اقتربا من بعضهما واشتبكت أيدهما ببعض وأخذ يتداوران، ويتدافعان فقلت: (بدأ العراك) وإذا به ليس عراكا بل هو رقص! عرفت ذلك من شيئين، من القبل التي كانا يتبدلانها بين الفنية والاخرى ومن أنهما لم يستعملا شوكتيهما السامتين...، فهمت ما حدث، إن الذي حصل أمامي هو نكاح وليس عراك ولكن العقرب ماكرة لأنها أكلت زوجها بعدما قضت منه وطردها.[1]

ثم وصف ما رآه من العقرب بأنها تحمل صغارها فوق ظهرها وأنها كلما جاعت أكلت أحدها: (ورأيت أيضا بعد يومين أن لا عقربة تحمل صغارها على ظهرها وكانوا بضع عشرين وأنها كلما جاعت التقمت أحد صغارها وأكلته....)[2]

و قد تعجب "ميرسيو" من كل الذي رآه من العقرب وتساءل من الذي علمها فعل كل هذه الأشياء.

هنا أراد الراوي بأن يبين لنا أن المتخيلة التي في عقل الإنسان تساعده على معرفة الحقائق وذلك عندما يتأملها ويفحصها ويخرج مكنوناتها وهذا ما حصل مع ميرسيو عند تأمله للعقرب، فهنا تجلى أحد مظاهرا "المتخيل الصحراوي" فمثل هذه الأشياء لا تكون إلا في الصحراء.

3- الأفعى:

بعد أن انتهى "ميرسيو (بقي)" من أمر العقرب انتقل إلى الأفعى ليكتشف ما تكنه من أسرار (لما علمت من أمر العقرب ما علمت، قصدن الأفعى لأن لها السلاح نفسه الذي هو للعقرب، وهو السم)، أول ما جذب ميريسيو في الأفاعي هو طريقة اصطيادها فبدأ (بأم جنيب) فقال: (الذي أدهشني هو حيلتها في اصطياد فريستها، فهي تدنس في الرمل ولا تبقي

[1] الراوية ص 119.

[2] نفسه، ص120.

إلا على قرينها وعينيها ثم تحرك قرينها باستمرار فيظن الطير أنهما دودتان فيهبط إليهما عند ذلك تهجم عليه أم جنيب (مفترسة)، ثم وجد أفعى أخرى لها الحيلة نفسها في التخفي لكن فريستها تختلف فهي تصطاد الجرابيع والحرباوات وبنات الصحراء وغير ذلك... بعد تأمله للأفعى تساءل مرة أخرى: من علم هذه الحية حيلة التخفي ؟ ومنه فحيوان الأفعى كان مظهرا آخر لتجلي المتخيل الصحراوي في الرواية وذلك لجعل ميرسيو يحاول أن يتخيل أو يعرف الذي كان سبب في تعلم هذه الحية للعيش هكذا وكما أشرنا سابقا هذه الأشياء لا تحدث إلا في الصحراء .

4- النملة:

بينما كان "ميرسيو (بقي)" منشغلا بالأفعى يتساءل من علمها تلك الحيل إذا النملة تقرصه وتقطع تفكيره، وهو إذ أن لاكتشاف كائن جديد (قطع على تفكيري هذا قرصة نملة في ساقي...)،[1] جعلته قرصه النملة يتوجه إلى غار النمل فلاحظ أن النمل لا يتوقف عن الحركة فقام بأخذ نملة ليكتشف جسدها (أخذت معي نملة لكي أتمكن من رؤية جسدها عسى أرى شيئا عجيبا، وضعتها على الأرض وأحطتها بدائرة من النار كي لا تهرب، ساعدني ضوء النار في رؤية تفاصيل جسدها، لها ستة أرجل نحيلة..، ولها رأس يكاد بيضويا في اعلاه نقطتان سوداوان هما عيناها..)،[2] بعد انشغاله عن النملة عاد ليجد أنها ماتت دون أن تحترق فأراد أن يكتشف سر موتها فعاود الصنعة مع الثلاث نملات ووصل إلى نتيجة ان النملة لا تطيق العيش خارج مجتمعها.

بعد صنيعه هذا أحس بالندم لقتله أربع نملات فأتى بجرادة وقص جناحيها وقدمها للنمل فلما رأتها نملة نادت أخواتها لحمل الجرادة وكان كل مرة يأخذ الجرادة ثم يضعها فغضبت النملات من النملة التي كانت تناديهم فلا يجد شيئا فقتلوها فعرف من هذا أن النمل

[1] الرواية، ص 121.

[2] المرجع نفسه، ص 121.

يكره الكذب ويعاقب عليه، وبعدها اكتشف أيضا كيف أن النملة تدفن أختها وذلك بوجود سائل يدل على موت النملة يساعد بقية النملات بمعرفة موتها...، بعد الكثير من التأمل الحشرة النملة ومعرفة نمط عيشها راوده نفس السؤال مرة أخرى: من الذي علم النملة أن تدفن أختها؟

وهنا أيضا يتجلى أحد مظاهر المتخيل الصحراوي فلن نجد حشرة النمل إلا في الرمال والرمال موطنها الصحراء، فالراوي أراد أن يذهب بمخيلتنا إلى أبعد الحدود.

5- العنكبوت:

وبينما هو يتأمل النمل ويراقبه إذا به يلاحظ أن نملة علقت في شبكة عنكبوت وهو إيذان آخر لكشف المزيد من الأسرار (لما خرجت احدى النملات تطلب رزقها ولم تدر أنها كانت رزقا لعنكبوت نصب شبكته ينتظر كرم الأقدار، علقت في شبكته الدائرية فلفها والتهمها بينهم)[1]

لقد شد انتباه ميرسيو (بقي) ما رآه من العنكبوت فقرر أن يتقصى أمره حيث شبهه للعقرب وأول ما شد انتباهه هو طريقة نسجه لبيته: (لقد أغراني بالمشاهدة عند صادفته ينسج بيته وسط شجرة زيتا لقد بدأ يمد خيوطا دقيقة جدا يفرزها من جسده ويستلق عليها ثم ركز نفسه في نقطة ما وبدأ يدور حولها بخيطه الفضي الرفيع.... لم تكن هذه الدوائر بيته فقط بل كانت مصيدته أيضا...

بعد أن انتهى من تأمل طريقه نسجه لشبكته انتقل ليكتشف شكل جسده فيقول: (تبنيته، فإذا له شكل منفر، له صدور وعجز منفخان، ويكادان ينفصلان عن بعضهما لولا الخصر الرفيع الذي توسطهما، يخرج من صدره وعجزه ثمانية أرجل لها شكل الهرم..، لما مكثت أتقصى أسراره أيا ما تبين لي أنه أنثى، لأن عنكبوتا آخر أصغر منه حجما رقص

[1] الراوية، ص 123.

على شبكته ثم غاب وأتى بحشرة ملفوفة في خيوطه قدمها لها فأكلتها ثم على ضهرها وخرج منه قطرات ماء متباعدة ثم نزل ليهرب، فوجد نفسه بين مقرضيها، فتبين لي أن العنكبوت ليئم...)،[1] بعد أن فرغ من تقصي أمر العنكبوت فإذا بالسؤال المعتاد يحرك مخيلته من جديد: من علم العناكب غزل شبكتها على هذا النحو.

لقد كان في "العنكبوت" تجل آخر للمتخيل الصحراوي، وقد بين لنا الراوي أنه لا يمكن لهذه الحشرة أن تعيشه في بيئة غير البيئة الصحراوية فقد جعل كل ما تحتاجه لتتمكن من العيش.

6- الحرباء:

في الصحراء كل كائن يتغذى على الآخر وكأنه قانون يسير على الجميع، فبينما كان "ميرسيو" منشغلا بتأمل العناكب فإذا بحرباء تصطادهم وتتغذى منهم فحول تأمله إليها بوصفها قائلا: (انتبهت فإذا هي حرباء تطيل لسانها بقدر طولها أو أكثر ثم تعيده إلى فمها وقد علق به عنكبوت فتمضغه ببطيء عجوز).

لون الحرباء كان ترابيا، مسنن، لها أربع قوائم، جلدها منقط كجلد التمساح...) ، عند رؤيته لها كيف تصيد العناكب اعتقد أنها سريعة لكن لما تحرك تبين له أنها بطيئة كما لاحظ أنها تأخذ لون أي شيء تقف عليه فاكتشف أن سرعتها في لسانها وليس في حركتها كما أن تغير لون جسدها يساعدها على التخفي: (لقطت العناكب في سرعة خاطفة ظننت أنها سريعة ولكنها لما غادرت تبين لأنها بطيئة جدا فهي أسرع من السلحفاة قليلا، تبعتها، فرأيتها تغير لونها فتأخذ لون الشيء الذي تمشي فوقه، فتعجبت من أمرها وأدركت بعد

[1] المرجع نفسه، ص 123.

التفكير أن هذا ضرب من التمويه لكي لا ترى صائدة أو مصيدة وأدركت أيضا أن بطء حركتها عوض سرعة لسانها...).[1]

بعد تأمل الحرباء عاد السؤال من جديد: من الذي عوض ذلك النقص بهذا الكمال؟

ولم تكن الحرباء آخر تأملاته فقد تأمل حشرات وكائنات أخرى واكتشف اسرارها، وتساءل عن سر وجودها: (ولقد تقصيت أمر الخنفساء والضب والجرادة والورل، فتكشفت لي بعض الأسرار هذه الهوام فذهلت، حتى آمنت أن كل شيء في هذه الصحراء وراءه قانون وأسرار).

ولم يكتف بالحشرات والحيوانات فقط بل أنه تقصى أمر النبات أيضا ويظهر في قوله: ((الأمر نفسه وجدته عند النباتات، فلقد تبين لي بعض تقص أن نباتات الصحراء لا تمتلك أوراق مسطحة مبسوطة لأن ذلك لا يتناسب مع شح الماء، فالأوراق المسطحة المبسوطة تضيع الماء بالنتح، لذلك كانت الأوراق منكمشة أو ملفوفة أو ابرية كي لا يضيع الماء الشحيح ! أما عروقها فقد كانت طويلة وغائرة في الأرض تطلب الماء الهارب، ولاحظت أن النباتات كانت متباعدة وأدركت أن سبب ذلك قلة رطوبة الجو...)).[2]

7- الجمل:

لقد كان للجمل أيضا نصيب من تخيلات والتأملات "ميرسيو" فقد اكتشفت ما له من أسرار بأنه يصبر على الحر والعطش ((كل شيء في هذه الحيوان لمهيأ بمقاومة قساوة الصحراء، حرارتها وريحها وجذبها ورملها وصلعها)).[3]

[1] الرواية، ص124.

[2] الرواية، ص124.

[3] الرواية، ص127.

_بعد كل ما رأيناه من تجليات للمتخيل الصحرواي في راوية " الملحد (حي بن يقطان)، وجدنا أن للمتخيل الصحراوي مميزات كثيرة فهو ينبع من التأمل والتحميص واكتشاف الحقائق كما أن مخيلة الإنسان تساعده على معرفة كل مجهول وغامض، وفي رواية " الملحد" نلاحظ أن الكاتب بمخيلته عرفنا على الصحراء واسرارها ومكنوناتها، فبطل الرواية كلما ينتهي من تأمل شيء يأتيه سؤال:(من؟)، أي من الذي اوجد كل هذه الأشياء ونظم لها حياتها بهذا الشكل ؟، فمنه فإن للبيئة الصحراوية دور كبير في تفجير المتخيل، كما ان المتخيل الصحراوي لعب دورا كبيرا في الرواية ويتمظهر هذا الدور في التأثير على شخصية البطل للصحراء وبقائه فيها لعدة اشهر واطلاق العنان لخيلته واكتشاف أسرار الأشياء وسر وجودها لما توصل إلى الحقائق، وقد ساهم حضور المتخيل الصحراوي في الرواية في جعل لها خصوصيات في بنائها الفني: في طريقة سردها، لغتها، علاقة الشخصيات ببعضها، أزمنتها، اماكنها: كل شيء في الرواية جعل لها ميزتها الخاصة، وهذا ما ميز المتخيل الصحراوي وجعله جليا في الرواية، وقد اختار الراوي البيئة الصحراوية لأن كل الذي رأيناه في الرواية لا يحدث إلا في الصحراء.

ويظهر في الرواية من خلال قول ميرسيو: إن أعظم سر استنطقته الصحراء هو: (إن وراء كل شيء شيئا)، فالأشياء في ظاهرها ساذجة جدا، وأحيانا تكون عابثة أما في جوهرها فإن لها حكمة عميقة تنبؤها بأن السذاجة فينا لا فيها، لذلك ما عدت انظر للأشياء كما كنت، لقد أصبحت أراها وكأنها ولدت من جديد، أو كأني أنا الذي ولدت من جديد، وأخذت أعيد الأشياء، أرميها بالأسئلة فتجيبني بكل حكمة، كنت التلميذ وكانت المعلم.[1]

ثانيا: تأثير البيئة الصحراوية في بناء شخصية الراوية:

تغوص راوية "الملحد" لعبد الرشيد هميسي في بيئة صحراوية لترسم ملامح مجتمع تمسك بعاداته وتقاليده الخاصة بالمنطقة الصحراوية، فهي راوية تغوص في فضاء صحراوي

[1] الرواية، ص127.

يدل على الامتداد والاتساع، ويرصد لنا الكاتب في الراوية جماليات منطقة "حاسي خليفة" بولاية وادي سوف كبيئة صحراوية وبكل ما تزخر به هذه المنطقة من إرث ثقافي وسحر وطقوس وعادات وتقاليد، حيث أن الكاتب بين لنا كيف أثرت البيئة الصحراوية لهذه المنطقة على شخصية الراوية (ميرسيو بقي)، ويظهر ذلك من خلال وصفه لهذه المنطقة فيقول: (.....أما المسجد فقد كان من جبس مطلي باللون الابيض، له صومعتان قصيرتان...، ثم أخذنا مختار إلى الحوانيت التي كانت ملتصقة بالجدار الشرقي للمجسد، الحوانيت كانت ضيقة جدا والبضاعة تقليدية...، كل شيء في البلدة واضح: رزقهم، أيامهم، نهارهم، ليلهم، كلامهم...، لا شيء في البادية غامض أو مستور حتى أسرارهم مكشوفة.[1]

أما بساتينهم فقد كانت متشابهة: نخيل، وزروع تعولهم....، وكانوا يتحايلون على الطبيعة المجدبة بأن يحفروا في الأرض ساحة بعمق المترين ويغرسوا فيما نخيلهم لكي يكون الماء أقرب إليها فلا يضطرون إلى السقي الدائم..)[2]

كما ذكر بعض المأكولات الشعبية التي قدمت له من قبل سكان المنطقة (عند ظهيرة تناولنا كسكسا مغطا بمرق الاحمر عليه لطخة من سمن، يتوسط ذلك هبرة عظيمة ... وكل شيء كان يراه في المنطقة يصفه بدق وتمعن وكأنه حتى في نفسه وترك آثار فيها وخاصة ان كل شيء يختلف عن بلده باريس الذي كان يعيش فيه حتى الاشخاص مختلفون من كل النواحي ثم ينقلنا الكاتب إلى الصحراء "حاسي خليفة" وما عاشته شخصية الراوية "ميرسيو" عند زيارته للصحراء مع سي مختار وجماعته ويذكر لنا كيف اثرت فيه هذه الرحلة فيقول: "كانت الصحراء أوسع ممن تصورت وانقى وأهدا مما تخيلت... ليس فوقنا إلا سماء وليس تحتنا إلا رمل...، الرمل يشكل خطوط محدبة ملتوية وعابثة، تفرقت فيها نباتات باللون الاخضر مغبر: سمى لي مختار بعضها الحلفاء...، شجرة زيتا، الشويكة...، العضيدة..،

[1] الرواية، ص71.

[2] الرواية، ص73.

شيحة الابل.. وغيرها من النباتات) كما سمى لنا بعض الحيوانات الموجودة في الصحراء، العقرب الصفراء، ضب، الافعى، الجمل، السقنقور، الخنفساء،... الخ، حيث كان للكل حيوان اثر يميزه ويعرف به.

بعد قيام شخصية رواية ميرسيو يحول بجولة مع مختار في الصحراء عرفه فيها على الصحراء وما يوجد فيها، في الليل قرر ميرسيو التجول فيها بمفرده لكن حدثت ظروف هي هبوب الرياح القوية شاءت أن يفترق مختارو جماعته فبقي وحيدا حائرا في ايجاد طريق العودة حتى أنه ظن انها نهاية حياته، لكنه سرعان ما بدا يكشف اسرار الصحراء ويتعايش مع ظروفها وقد ساعد في اكتشاف العديد من اشياء التي بدت له غامضة وغيرت الكثير من أشياء فيه ويظهر هذا من خلال قوله " عندما ثبتت في هذه الحقائق كان للرحلة أيضا مثلما كان للصحراء أثر في تغير شخصية الرواية (ميرسيو)، ليس فقط شخصيته بل معتقداته وتصوراته، فقد وجد في رحلته التي قام بها في الصحراء مسارا صحيح، برغم المعاناة والظروف القاصية التي مر بها خلال الفترة التي قضاها في الصحراء إلا أنه تعلم عدة دروس ويظهر هذا في الرواية (أدركت أخيرا أن مسار الذي كنت أسلكه خاطئ، بل أيقنت أنه تافه لا قيمة له، وأنه لا يتناسق مع حكمة الوجود، انني عندما آ منت بالتمرد ودعوت الناس إليه ما كنت إلاغرا يدفعه الحماس وشرة الشباب وحب الحياة...، أما الان وانا على فاتحة كهولتي فإن الأمر اختلف الأشياء غدت أكثر وضوحا، وفضل ذلك يعود الثلاثة: سي لمين، ومريم، الصحراء).[1]

لقد جعلت هذه الرحلة التي قام بها ميرسيو في الصحراء والتي دامت لشهور منه إنسان متصوفا مؤمنا، فكل ما وجده ميرسيو فيها كشف له عدة اسرار، فسي لمين ومريم عرفاه بربه وبأن أقداره فوق كل شيء، والصحراء علمته أن لكل كائن أو شيء يتحرك على وجه الارض موجد وهو الله، وقد ظهر تصوفه وايمانه بالله عند تعرضه للدغة الافعى فقال: «يا

[1] الرواية ، ص 130.

إلهي»، فارسل الله له ذلك الرجل الذي انقذه من سم الافعى، «...انني عرفت ان الله في هذا المكان فكيف لا آنس به!، «ما اجمل هذا العالم عندما تدرك ان له اله رحيما»... كل هذه الاقوال تدل على تصوف وايمان ميرسيو (بقي) وكل هذا من خلال الرحلة التي لم تكن في حسبانه حيث قال: «ادركت الان اني كنت اركض نحو قدري الذي خط لي ذات يوم قدم.[1]

لقد ساقتني الاقدار من فرنسا الى صحراء الجزائر لتنقذني من نفس المتمردة، ايقنت ان الله كريم جدا عندما لوح بي في الصحراء لكي أعرفه، وكريم جدا لما خلق مريم بتلك العينين الزرقاوي اللتين وهبت قلبي الحياه بعدما ظننته مات»[2]

عاد بطل الرواية ميرسيو الى باريس وبدا يجرب حياة جديدة صافية طاهرة خالية من كل دنس محت كل شيء ان كان من الماضي: «بعد شهور من ذلك، ها انا في باريس انفق ما تبقى لي من عمر فيها، مثقلا بذاكرة ضاقت كل شيء، بدأت اجرب وجودا جديدا، لقد اخرجت الاشياء القديمة مني، واعدت ترتيبها من جديد الله مركز كل شيء في حياتي الجديدة...».[3]

من خلال ما سبق فالراوي اراد ان يبين لنا قيمة الرحلة في حياه الانسان، فالأدب حين مجد الرحلة وذكرها في العديد من المطبات لم تكن عبثا بل لان لها اثر كبير في حياه الانسان ورواية الملحد اكبر دليلا امامنا

على ان الرحلة ذات قيمه كبيره فقد رجع ميرسيو الى بلده متصوفا مؤمنا بالله بعد إن كان ملحدا لا دين له.

[1] الرواية، ص 133.

[2] المرجع السابق، ص 133.

[3] الرواية ، ص 134.

شعرت بهدوء وجودي يسري في نفسي الضائعة، وأحسست أني عثرت على شيء ضاع مني وان شيئا داخلي كان تالفا وصلح ولقد اصبحت أنام الليل دون أن تحاربني نفسي».[1]

لقد كان للبيئة الصحراوية في الرواية وظيفة ودورا كبير في بناء شخصية

الرواية فقط ساعدت كل الاشياء الموجودة في الصحراء من أشخاص (سي لمين، ومريم) وبيئة الصحراء وحيواناتها ونباتاتها في تغيير ميرسيو وتأثير فيه بعد ان تأملها واكتشف اسرارها وسر وجودها، فقد تحول من انسان كافر ملحد لا يؤمن بوجود الله، الى انسان مسلم يؤمن بان اقدار الله فوق كل شيء.

ثالثا: مفهوم الفضاء:

لقد تعددت وجهات النظر بالنسبة للفضاء الذي أدى تعدد دلالاته كيف لا وهو الذي تناولته الدراسات الأدبية، كما تعددت مفاهيمه أيضا وفي دراستنا سنقدم بعض التعريفات لمصطلح الفضاء.

أ- لغة:

ورد في لسان العرب) مادة فضا (: فضا يفضو فضوا فاضى وقد فضا المكان وافضى إذا اتسع وأفضى فلان آتى فلان أي وصل اليه واصله أنه صار في فرجته وفضائه وحيزه، الفضاء الساحة وما استوي من الأرض واتسع وجمعه أفضية والفضاء والمكان الواسع من الأرض ونقول مكان مفض أي واسع ونقول المكان المفضي المتسع.[2]

[1] الرواية ، ص 126.

[2] أبو الفضل الدين محمد بن مكرمين منظور الإفؤيقي المصري، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، المجلد 15، ط 4، 2005، ص 157 – 158.

و في تاج العروس يتصرف المعنى إلى الاتساع أيضا فالفضاء الساحة وما اتسع من الأرض حيث يستشهد في ذلك بقول الراغب المكان الواسع وقول شمير هو ما استوى من الأرض واتسع وقول أبو علي القالي الفضاء السعة ومنه المفضاة والمفضى المتسع[1].

ولم تختلف المعاجم الحديثة عما ذهبت إليه المعاجم القديمة التي وصفته بالمعاني نفسها من الاتساع والكبر وقد وصفته القواميس الأجنبية من وصفته بأنه يعنى الفساحة والاتساع والكبر والمباعدة.

ب- اصطلاحا:

يعرف الفضاء بأنه الرحب الذي يحددنا ونحدده ويحيط بنا من كل جانب من فوقنا ومن تحتنا وعن أيماننا وشمائلنا لا نهائي يؤدي دورا ذا أهمية في عملية الفهم والتفسير باعتباره مكونا من مكونات الخطاب الادبي.

يمثل الفضاء عنصرا مهما في ترتيب العلاقات الاجتماعية والثقافية وتنظيم أفعال الكائنات ووعي سلوك الافراد والجماعات والتي تنبه الى نوع من اختراقات الفضاء لنا لأجسادنا وأفكارنا ولوجداننا ولمعارفنا ولقد شكل الفضاء على الدوام محايثا للعالم تنتظم فيه الكائنات والاشياء والافعال معيارا لقياس الوعي والعلاقات والترتيبات الوجدية والاجتماعية والثقافية ومن ثمة تلك التقاطبات الفضائيات التي انتهت اليها الدراسات الانتربولوجية في وعي وسلوك الافراد والجماعات.[2]

رابعا: الفضاء الروائي:

الفضاء الروائي لا يوجد إلا من خلال اللغة، فهو فضاء لفظي يختلف عن الفضاءات الخاصة بالسينما والمسرح. أي لا يوجد إلا من خلال ربطه بغيره من عناصر الخطاب

[1] محمد الحسين الزبيدي، تاج العروس، المجلد 20، ص 117.

[2] حسن نجمي، شعرية الفضاء السردي، المتخيل والهوية في الراوية، العربية، ط 1، 2000، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء (المغرب)، بيروت – لبنان ص 05.

الروائي ربطا يجعل منه نسيجا متشابكا، محكم التلاحم والتماسك شديد الاتساق والترابط، مما يجعله يتضمن كل المشاعر والتصورات المكانية والزمنية للحكاية، وبالحدث الروائي، وبالشخصيات التخييلية التي تستطيع اللغة التعبير عنها وليس هناك أي مكان محدد مسبقا، وإنما تتشكل الأمكنة خلال الاحداث التي يقوم بها الابطال، وهذا الارتباط هو الذي يعطي الرواية تماسكها.[1]

فالفضاء الروائي مجموعة من العلاقات بين الاماكن والزمن والوسط والديكور الذي تجري فيه الاحداث والشخصيات التي يستلزمها الحدث ويرى الكثير من الدراسين رغم تسليمهم بوجود الفضاء نصي كالبياضات والجداول والهوامش فان التركيب ان يكون على دراسة الفضاء الروائي وهو المظهر التخيلي الحكائي ويقصدون المكان والزمان الذي تجرى فيهما احداث القصة أو الرواية، وحجتهم في ذلك بان دراسة الفضاء النصي والطباعي يجعلان من الدراس واضع جداول وخرائط طبوغرافية فالرواية قائمة اساسا على المحاكاة وهذا لا البد له من حدث وهذا الاخير يتطلب بالضرورة مكانا وزمانا.[2]

خامسا: دور المتخيل الروائي:

يلعب الخيال دورا مهما في الرواية وذلك أنه يكفل بسداء الكثير من الثغرات التي يخلفها الواقع، فنجد الشخصية الساردة تعلم الكثير عن شخصيات الرواية كأنها تفني صلتها بروائي فنجدها تعلم كل الجزئيات عن الشخصيات من جانبها الاجتماعي والنفسي وحتى توجهها السياسي، فأصبح هناك مجال للسارد، بان يفترض ويتساءل وان يبدل الوظيفة المستدعاة.

[1] ينظر: محمد عزام، شعرية الخطاب السردي، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2005، (د، ط)، ص 73.

[2] حسين بحراوي، بنية الشكل الراوئي، الفضاء الزمن الشخصيات، ط 2، المركز الثقافي للطباعة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، بيروت – لبنان، ص 32.

وقد جرب الروائيون الجزائريون لهذا عدة طرق وتقنيات ومن هنا بدأت رحلة تشخيص الداخل وكشف الغطاء عن الحياة السرية للغرائز والعواطف وهناك من جذر الجزائري في التاريخ الجزائري بعد محاولة ابهامه أنه متجذر في التاريخ العربي، حين انكب الأخر على الكشف على سلوكيات اليومية للإنسان كما حاول البعض أن يسائل دورا الأسطورة والحكاية الشعبية والخرافية، وكلهم بينوا من خلال الرواية أن الواقع غامض ومعقدة، وكلما تعمقنا فيه تعذر الإمساك بالحقيقة، وكان كل روائي في كل المراحل يسعى نحو النموذج الأعلى في الكتابة الروائية واكتشف أن هناك حقائق مختلفة متناقضة أحيانا وجزئية، لذلك نجد شخصيات الروايات تبدو لنا وكأنها مغلقة داخل وجهات نظرها واعتقاداتها ولكل واحد حقيقة كما أن لكل روائي حقيقة ايضا.[1]

المبحث الثاني: تجليات السرد الرحلي في الرواية:

أولا: بنية الشخصية في الرواية:

قد لا نجاري الحقيقة ان قلنا بان الشخصية تشكل الدعامة الرئيسية في بناء أي عمل روائي فلا يمكن للكاتب ان يستغني عنها نظرا للدور الفعال الذي تلعبه في بناء الاحداث فهي تضفي للمكان الروائي طابعا حيويا مفعما بالحركة والنشاط، ومن المعلوم ان المكان لا يكتسب قيمته الفنية والدلالية إلا بتواجد الحركة من طرف الشخصيات، وعليه فالمكان الروائي من دون اشخاص جامد ساكن لا حركة فيه، ولكن قبل الولوج الى عالم الشخصية في مدونة البحث علينا أو لا تحديد مفهوم الشخصية.

1-مفهوم الشخصية:

لقد تعددت مفاهيم مصطلح الشخصية لتعدد وجهات النظر لدى النقاد والدراسيين لأنها المتحرك الرئيسي الذي يدفع بتطور الأحداث داخل العمل الأدبي وباعتبارها: المحور العام

[1] آمنة بلعلي، المتخيل في الرواية من المتماثل إلى المختلف، دار الأمل، ط 1، 2006 م، ص 31.

الرئيسي الذي يتكفل بإبراز الحدث، وعليها يكون العبء الأول في الإقناع بمدى أهمية القضية المثارة في القصة وقيمتها.[1]

وجاء مفهوم الشخصية بدقة متميز في كتاب نظرية الرواية: ان الشخصية هي التي تكون واسطة العقد بين جميع المشكلات الخرى، حيث انها هي التي تصطنع اللغة، وهي التي تبث أو تستقبل الحوار وهي التي تصطنع المناجاة المونولوج وهي التي تنجز الحدث، وهي التي تنهض بدور تضريم الصراع أو تنشيطه من خلال سلوكها واهوائها وعواطفها.[2]

2- الشخصيات الرئيسية:

وهي التي تسيطر على النص الروائي بوظائفها وحضورها وتكون حاضرة في البداية النص الى نهايته كما تمثل تلك الشخصيات التي تستحوذ على اهتمامنا تماما، كما انها تؤدي مهمة رئيسية تقودنا الى طبيعة البناء الدرامي فعليه نعتمد حين نبني توقعاتنا التي من شانها ان بتحول أو تدعم قدراتنا وتقيمينا ومن الشخصيات الرئيسية التي وردت في رواية الملحد نجد:

- ميرسيو (بقي): وهو بطل الرواية وهو يحتل موقعا اساسيا فيها، وهو شخصية كان في بداية حياته يؤمن بالدين المسيحي ويقدسه إلى أن بدأت تظهر له بعض الحقائق جعلته يتخلى عن هذا الدين حيث أنه اصبح ملحد لا دين له وتمرد على الحياة بشتى الطرق معتقدا أنه لا إله يحكم الكون، الى ان ادى به مسار حياته الى انتقال من باريس الى الجزائر حاسي خليفة، التي وجد فيها نفسه ووضحت له كل الغوامض، حيث كانت

[1] نادر أحمد عبد الخالق، الراوئية بين علي بكثير ونجيب الكيلاني، دراسة موضوعية وفنية، دار العلم والايمان للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، ط 1، 2009 م، ص40.

[2] نادر أحمد عبد الخالق، نفس المرجع، ص40.

الصحراء سببا في جعله انسانا آخر يؤمن بالله وحده ويعظمه، حيث تحول اسمه من ميرسيو الى بقي بعد قد ومه الى الجزائر.[1]

- جورج. وهو صديق ميرسيو الذي كان يتعبد معه في الكنيسة ويلازمه طوال الوقت، هذه الشخصية عانت من الظلم حيث كان ضحية ضره يتمه وفقره وحاجة أهل الى عول الكنيسة، فكان يسكت على ما أصابه من ظلم من قبل دانييل خوفا من انقطاع قوته وقوت أهله، حيث أنه لم يعش طويلا لأنه مات منتحرا نتيجة ما عاشه من ظلم وقهر[2].
- **الخال (ديفيد):** وهو ابرز واهم الشخصيات في الرواية فقد كان حضوره بارزا من البداية الرواية الى نهايتها، كان منبوذا من قبل اسرته خاصة من قبل أبيه حيث لقبه بالشيطان وذلك لأنه كان يريد من ان يعتق المسحية لكنه لم يكن يؤمن لا بالدين المسيحي ولا بغيره فقد كان ملحدا لا دين له وكان يحاول ان يقنع ميرسيو بأن يتخلى عن دينه الى ان نجح في ذلك فقد تحسنت العلاقة بينهما بعد موت جد ميرسيو فاستطاع إقناعه لأن يكون ملحدا، لكن رغم هذا كان سندا له ولأمه بعد ان تخلت عنهما الكنيسة.[3]
- **مختار الخياط:** هو أحد الشخصيات البارزة في الرواية، وهو رجل بدوي عربي خمسيني يقيم في الجزائر بولاية الوادي بحاسي خليفة، وهو من قام باستضافة ميرسيو وخاله ديفيد في بيته وهو والد مريم .[4]
- **سي لمين:** هو امام مسجد حاسي خليفة صوره لنا الكاتب بأن عيناه كعيني بني حزين وقد كان فيه شيء لامس قلب ميرسيو وحذبه إليه دون أن يعرف ما هو، لقد كان ميرسيو يزور سي لمين ويقضي معه اوقاتا طويلة ويطرح عليه اسئلة تحيره وكانت

[1] الرواية ص 9-136.
[2] الراوية ص 11 – 14 -22-38.
[3] الراوية ص 14
[4] الراوية ص 58 – 69

اجاباته تبهر وتؤثر فيه، لقد كان لشخصية سي لمين دور مهم وكبير في تغير شخصية البطل والتأثير فيها حيث كان أحد أسباب اعتناقه الاسلام.[1]

- **مريم:** هي بطلة الرواية وهي الفتاة ذات العينين الزرقاوتين اللتين سحرتا بقي وجعلتاه يعشق مريم ويهوم فيها، في بداية ظهرت مريم في الرواية بصورة الفتاة التي تراقب باقي من بعيد ثم أصبحت تلازمه طوال الليل بين نخلتين في بستان ابيها حيث كان يقضي الليل هائما في زرقة عينيها حيث يتضح في آخر رواية أنه مجرد روح لفتاة عشقته عشقته منذ سنين وماتت بسبب عشقها وقد كان لتلك الروح التي سهر معه الليالي دور كبير في تغيير شخصيتها وقناعتها واعتناقها الاسلام.[2]

3- شخصيات الثانوية:

- **الدياكون (جوزيف ماكرو):** وهو شماس الكنيسة وهي رتبة الادنى أي يوجد اعلى منها من مهامه حفظ النظام والسكون عند الصلاة تنظيف الهيكل، تنظيف المسبح، خدمة الارامل ومرضى... الخ؛ كان في بداية الراوية أحد اقرب الشخصيات للبطل ميرسيو فهو معلمه الذي يلقنه الدين المسيحي حيث كان متأثرا به تأثيرا كبير.[3]
- **الأيبوياكون (دانيي لدي سرات):** وهو مساعد شماس من مهامه ايقاد سرج الكنيسة، وحفظ الكتاب وثياب الكاهنة وخدام وتعمير المجامر... الخ.[4]
- **الأم:** هي والدة ميرسيو وقد كانت هي ايضا ولوعة بدين الاسلامي حيث كانت تؤمن بأن ابنها سيصبح قديسا وكانت تشجعه على ملازمة الكنيسة، حيث أن حلمها بات هباء بعد تغير حال ميرسيو، وانتهى بها المطاف أن توفيت في دار للرعاية.
- **الراهبة المسجونة:** هي فتاة يافعة بملامح عربية تعرف عليها ميرسيو عندما زار دير الرهبات حيث رأها وكان اثر الصوت على جسدها وعرف فيما بعد انها تجبر علة

[1] الراوية ص 72.
[2] الراوية ص 11
[3] الراوية ص 13
[4] الراوي ص 12.

اعتناق الدين المسيحي وقد قام بإنقاضها عند قراره بترك الدين المسيحي وقد كان دعاؤها له أحد أسباب هدايته للإسلام.[1]

- **سيمون:** هي فتاة في العشرين من عمرها لها عينان خضروان وعنق طويل، وشعر اصفر كانت مملؤة بالحياة، تعرف عليها ميرسيو في مقر الجريدة كانت تؤمن مثله بأن الحرية اساس كل شيء وأن الحياة من دونها لا تكون لا زمها ميرسيو عدت ليالي حيث مارس كل الرذائل كالخمر والمضاجعة وسب الاله الذي يعتقدان أنه خرافة.... إلخ. بالإضافة الى بعض الشخصيات الثانوية الأخرى التي حركت الرواية وكانت لها أدوار بسيطة فيها كريستيان، مارك / ابراهام، الرجل المستول...

ثانيا: بنية المكان المتخيل:

يعد مكان عنصر متميز لا يمكن اهمال دوره الكبير في لم وشائج العناصر الفنية ولقد اختلفت الاماكن بين مكان مغلق واخر مفتوح ولكل منها صفات خاصة بها.

1-الاماكن مغلقة:

المكان المغلق: هو الذي يمثل الانسداد ولانطلاق كما يتفق بالتحديد، وهذا لا ينفي انفتاحه على الامكنة اخرى .[2]

كما يعتبر مكان العيش والسكن الذي يأوي اليها الانسان ويبقى فيه فترات طويلة من زمن، سواء بإرادته أو بإرادت الاخريين ؛ لذا هو المكان المؤطر بالحدود الجغرافية والهندسية.[3]

---

[1] الراوية ص 16- 36-37-135.

[2] كلثوم مدقن، دلالة المكان في موسم الهجرة الى الشمال، للطبيب صالح، مجلة الاثر، مجلة الآداب واللغات، جامعة ورقلة، عدد 4، ماي، 2005م، ص 141.

[3] مهدي عبيدي، جمالية، المكان في ثلاثية حنامية (حكاية بحار – النقل – المرفأ البعيد)، منشورات الهيئة العامة السورية للكاتب، دمشق 2011م، ص 44.

ومن الأماكن المغلقة في الراوية نذكر:

- **الكنيسة:** وهي مكان مغلق خاص للعبادة، حيث تمثلت في الرواية الكنيسة، على أنها الحيز الذي تقام فيه الطقوس والشعائر والصلاة أيضا. فكان المعلم هو من يلقي الدرس الذي يكون موضوعه قصص عند الرب المسيح"، حيث يقول السارد في الدرس ذكرنا معلمي بطقوس صلاة القداس الإلهي، وربط كل طقس وكل حركة وكل اشارة بقصة تخص الرب المسيح أو أمه أو أحد مقربيه، وذكرنا أن صلاة القداس[1] قصة رمزية تحكي تاريخ المسيح من ولادته إلى ما بعد بعثه وطلب منا أن تتذكر كل شيء عندما يقوم الكاهن بهذه الطقوس غدًا: لان تذكر مثل هذه القصص والإشارات من شأنه أن يزيد في خشوعنا، وقبول التوبة منا، وحذرنا أن نشغل بأي شيء، جليلاً! كان أم حقيراً، لأن أبواب السماء ستفتح غدًا ولن يكون بيننا وبين الله حجاب، وأن رب المسيح سيحضر الكنيسة وسوف يتجسد".[2] حسب ما جاء في الرواية فإن الكنيسة لا تعلم فقط العقائد الإلهية بل وتجرب تطبيقها كالجسد المسيح فإن أعضاء الكنيسة يخدمون: بعضهم ضمن نطاق واقع الحياة اليومية. وهذا ما كانت تعيشه شخصية الرواية "ميرسيوا" في الكنيسة تعلمهم العقائد الإلهية وقوانينهما وتجرب تطبيقها، ففي الرواية ذكر لنا أن لكل شخص متواجد في الكنيسة دورا مهما يعنى بها، وبما تقدمه الكنيسة ولي غيرها.
- **الديّر:** هو مكان اختلاء الرهبان وعادة ما يكون بعيدًا عن زحمة المدينة في الصحراء وبه كنيسة ولكل دير رئيس يهتم بالرهبان يستحضره السارد في روايته " كان في الدير رهبان. كثر كلهم اصطفوا ترحيبا بنا، الكل كان متحشما بالسواد وعلى خواصرهم زنانير هي التي تشهد لهم بالتبتل وقهر الشهوة، لحاهم قدسية وقربًا من الطهارة.[3]

[1] الراوية ص 25.

[2] الراوية ص 25.

[3] الراوية ص 15

من خلال الرواية وما ذكرناه سابقًا اتضح أن الحياة داخل الدير التي يقيم فيها الرهبان تخضع للقواعد المجتمع التي تنص.

على جنس السكان وتطلب منهم البقاء عزابا وامتلاك القليل من الممتلكات الشخصية أو عدم امتلاكها على الإطلاق.. كما تفرض بعض التقاليد الدينية على الرهبان في الدير العزلة لأغراض التأمل بعيداً عن العالم اليومي، وفي هذه الحالة قد يقضي الرهبان معظم وقتهم معزولين حتى بعضهم البعض.

- **بيت "الزاوية"**: تمثل الزاوية مكان مغلق خاص يستقبل اصدقاء والفقراء وكذلك المتخاصمين والمستأنسين وغيرهم حيث يقول السارد في روايته "وصلنا إلى بيت قرب بيته يسمونه الزاوية" كان من جبس لا زخرفة فيه ولا زينة، به غرفة شرقية كبيرة يستقبل في هذه الزاوية زواره.[1]

من خلال دراستنا وما جاء في الرواية فإن الزاوية هي أشبه بحلقات التعليم وهي موضع معد للعيادة والإيواء وإطعام الواردين والقاصدين، كما أنها مدرسة دينية ودار مجانية. لضيافة وبإضافة أنها مكان لتلقين القرآن الكريم وتعليم القيم والأخلاق .

- **المسجد:** وهو مكان مغلق ودار عبادة المسلمين تقام فيه الصلوات الخمس المفروضة وغيرها يستحضر السارد في روايته في قوله " خرجت مع سي– لمين من الباب الشرقي للمسجد وعند الخروج من هذا الباب وجدنا أنفسنا في حلقة من دكاكين الصغير: مواد غذائية[2] جزار جالسون على شكل حلق مبعثرة، حلقة تلعب الخربقة وحلقة للغناء والصخب تعلو فيها أصوات الرجال، وحلقة الشيوخ الكبار يكون فيها الصمت سيدا..."[3]

[1] الراوية ص 100

[2] الراوية ص 98

[3] نفس المرجع السابق ص 98.

- يعرف المسجد على أنه المكان الذيا يتفرغ فيه المسلم للعبادة ربه، وفيه يقف بين يدي خالقه يناجيه، ويشعر عظمته أثناء صلواته، وهذا ما حدث لبقي مع سي لمين في المسجد.

2-الأماكن المفتوحة:

تعد الأماكن المفتوحة نقيضا للأماكن المغلقة: في كون الأولى تقيد الفرد وتجعله خاضعا للسيطرة ذلك المكان المغلق فحين يمنح المكان المفتوح القدرة على الحركة والانتقال ولكنه محدد بحدود معينة تسمح للشخصية بالحركة فيه بحرية وانفتاح ويمكن أن نطلق عليه المكان العام والشخصية يفعل معين ضمن مكان عام له حدود ثابتة

يوحى المكان المفتوح" بالاتساع والتحرر ولا يخلو الأمر من مشاعر الضيق والخوف، لا سيما إذا كان المكان المفتوح، في أمكنة الشتات والمنافي والمخيمات".[1]

ومن الأماكن المفتوحة في الرواية نذكر:

- **باريس:** واجهة فرنسا تقع مدينة باريس على ضفاف نهر السين في قلب منطقة إيل – دي – فرانس في شمال فرنسا، وهي أكثر المدن الفرنسية كثافة سكانية، ويظهر هذا الأخير في الرواية في قول السارد " باريس لكل شيء موجود وفي كل شيء اختلاف، لا شيء يشبه شيئا، وهي العاصمة التي تضع أسياد الثقافة كان مجدي وشهرتي

على مرمى حجر! لأني لقيت فيها قراء يعرفونني، من خلال مقالاتى وما بقيلي على الشهرة الكاملة إلا أن أنجر مما قرأت ومما شاهدت نظرية جديدة وفريدة تعيد لهذا العالم حقيقة...."[2]

[1] حفيظة أحمد، بنية الخطاب في الراوية النسائية الفلسطينية، منشورات الرعاة للدراسات والنشر، رام الله، فلسطين، د ط، 2007 م، ص 160.

[2] – الراوية ص 46

في الرواية وصف لنا السارد مدينة باريس بكل معالمها فاتضح أنها بلدة باذخة، تميزت بالعديد من الثقافات وعثرت فيها المراكز الثقافية كما نجد أن فيها العديد من المعالم الأثرية المهمة والاماكن السياحية.

- **الصحراء:** هي منطقة قاحلة حيث المطر قليل جداً، وبالتالي فظروف الطقس معادلة للحياة النباتية والحيوانية. وإن انعدام الفضاء النباتي في الصحراء بعرض سطحها لعمليات التعرية، حيث ظهر ذلك في الرواية " كانت الصحراء أوسع مما تصورت وأنقى وأهدأ مما تخيلت. لم نصل إلى المكان الذي سنقيم فيه إلا بعد مسيرة طويلة، بعد أن انقطعت الأصوات فالصوت يتناهى إلى أسماعنا، ليس فوقنا الاسماء وليس تحتنا الارمل![1]

هنا يقدم لنا السرد صورة الصحراء عند قرب مرتها لأول مرة فالذي يرى الصحراء لوهلة الأولى يعتقد أنها مكان يستحيل العيش فيه يعلوه سماء وتدنوها رمل، لكن الذي يبقى فيها أيام وشهور يكتشف عكس ذلك فالصحراء مكان معطاء وصالح للعيش رغم قساوة مناخها، وهذا ما حدث مع بطل. الرواية "ميرسيو.

- **حاسي خليفة:** وهي مكان مفتوح، وأحدى مناطق جنوبية في الجزائر اشتهرت بطابعها الديني الملتزم، حيث ستحضرها السارد في رواية في قوله " طالعنا نخيل حاسي خليفة:" بلونه الأخضر الداكن، وبطوله الشاهق وكأنه يستطيع القادمين ليخبر البلدة بقدومهم !".[2]

من خلال الوصف الذي ورد في الرواية للمنطقة حاسي خليفة اتضح أنها منطقة ذات طابع ديني، تتميز بالبساطة في كل شيء من حيث سكانه أو بنياتها وكما تكثر فيها ممارسة العادات والتقاليد حيث لا يحس زائروها أنهم غرباء، كما تتميز بجمال الطبيعة فيها (بساتين، نخيل) وكان بطل الرواية ميرسيو أكبر مثال لها.

[1]– الراوية ص 107

[2]– الراوية ص 70

- **البحر:** يطلق على أيا تجمع للمياه المالحة يستعمل بالمحيط أو على البحيرات المالحة غير المتصلة ببحار أو محيطات أخرى، وهو مكان مفتوح في هذه الرواية، حيث يظهر ذلك في قول السارد. غدا ذهبت إلى الشاطئ ووجدت "ماري كاردونيا"، كانت تشتهيني وكنت أشتهيها، لهونا في البحر ثم أخبرتها أن أمي ماتت. فاندهشت، ثم في المساء ذهبنا الى السينما وشاهدت فيلمًا مضحكا وسخيفا."[1]

البحر على حسب ما جاء في الرواية هو مكان للهو والترفيه على النفس عادة ما يزوره الناس ليرفه على أنفسهم وتكثر هذه الزيارات خاصة في فصل الصيف، وبطل الرواية "ميرسيو" تحدث عن لهوه في البحر مع صديقته "ماري" "ولهوهما معا فيه.

ثالثا: بنية الزمان المتخيل:

يعد الزمان عملية تقدم الأحداث بشكل مستمر وإلى أجل غير مسمى بدءًا من الماضي، مروراً بالحاضر وحتى المستقبل.

- **الاسترجاع:** هو أن يرويا للقارئ فيما بعد، ما قد وقع من قبل[2]

فالاسترجاع عبارة عن أسلوب من أساليب استخدام الزمن في الرواية واختيار بعدي يعود فيه الراوي إلى الماضي لإلقاء الضوء على أحداثه، وبه ينقطع السرد مؤقتا أو يسترجع شيء من الماضي، ثم يعود من الأحداث الحاضرة، فهي تقنية يعتمد فيها الراوي على الذاكرة، ذاكرة السارد أو ذاكرة الشخصيات[3]

تجد في الرواية الملحد مجموعة من الاسترجاعات نذكر منها:

---

[1]– الراوية ص 58

[2]–ترقيطان تو دوروف: الشعرية، تر: شكرية المبحوث ورجاء بنا سلامة، دايمتويقال، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1987، نقلا عن : مها حسن القمراوي: الزمن في الراوية العربية، ص 48.

[3]محمد رضا برعبيد وسوسن ها دي جعفر البياتي: جماليات التشكل الروائي، عالم الكتب الحديث، ط، 2018م، الرواية 207.

- "في الليل أسهر وحدي، أذكر مريم وما كان منها، فأشحن شوقا وأتلوى عذابًا، وأتوقف طويلاً عند حواري مع مختار لما عدت من الصحراء بعد أن نجوت بحياتي. لقد طلبت منه أن يزوجني مريم بعد أن شهد دخولي في دينها، فتعجب من طلبي، وأخبري أن مريم ميتة منذ أعوام! وأنني، أنا سبب موتها !لم أفهم ساعتها شيئا ودارت بي الأرض والحياة".[1]

حيث يستذكر ذكرياته مع مريم بنت مختار التي طلب يدها بعد رجعه من الصحراء، فانصدم بموتها من زمن.

- " أتذكر سي لمين وهو يقول لي. لقد بشرت في المنام أنك. ستؤمن بعد أن يصيبك ضنك، لذلك ذكرت لك قول الله "أمن يجيب المضطر إذا دعاه... هي تكون مخرجك..."[2]

حيث يتذكر قول سي لمين الذي رآه في المنام وهو ما كان سبب في جعله مؤمنًا.

ولقد وظف السارد هذه التقنية في الرواية رغبة منه في ضبط مسير السرد، ويتمثل ذلك من خلال عودته لأحداث قد مضت ومر عليها زمن طويل، وذلك من خلال الاستذكارات السابقة التي تطرقنا إليها فيما سبق.

- **الاستباق:** وهو تقنية استشرافية خاصيتها الفنية هي التشويق والتحريض على القراءة.[3]

تزخر رواية الملحد بالعديد من الاستباقات من بينها:

---

[1]– الرواية، مرجع السابق، ص135.

[2]– الرواية، ص136

[3]– إسماعيل اردوهي، تقنيات السرد في رحلة فيض العباب وافاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزابلاني الحاج التيميري، العدد الثامن، جامعة محمد خيضر بسكرة، ص 14

"مريم ما زلت في قلبي حربا لا تهدأ، وما زال الأزرق الذي في عينيك بحرًا يُغريني فأجد ف دون وصول، بأن ذلك البحر خلق بلا نهاية..."[1]

" عشت ما يقارب الأربعين سنة من المتاهات وهي تكفي لأن تخلق مني إنساناً صنائع اليقين له غربنان، عزبة بينه وبين الناس، وعزبة بينه وبين نفسه اكنت تماماً بحجر مرمي في سديم لا ينتهي..."

"أتذكرين الليلية التي سهرناها حتى الفجر قرب تخلتين شامختين؟ لم يكن بيننا كلام كثير، لكن كان يولد بيننا عشق عظيم... "[2]

نجد السارد اعتمد على تقنية الاشتياق في الرواية بغية كسر رتابة السرد ومن أجل أيضا اضفاء الجمالية على المتن الروائي.

وهذا ما وجدناه في الرواية ومن خلال الاستباقات المستخرجة.

- **المشهد:** هو ما يسميه جيرار جينيت المسرح "ترد فيه الأحداث مفصلة بكل دقائقها كما يعطي للقارئ إحساسا بالمشاركة الحادة في الفعل".[3]

"وزمان السرد فيه يتساوى مع زمن الأحداث وينشأ عما ذلك أسلوب الحوار".[4]

تمثل هذا النوع في الرواية من خلال أفضل مشهد وهو السارد.

عندما استفسر من المختار مع من كان يسهر في الليالي فأجابه المختار بأن البنات عندما لا يسهرن مع الرجال وأنه كان يسهر مع روحها، وتألف من سطر ونصف.

---

[1] الراوية ص 9

[2] الراوية ص 10

[3] أحسن مزدور، مقاربة سيميائية في القراءة الشعرية والراوية، مكتبة الآداب، القاهرة، د ط، 2005، ص 98.

[4] عبد الرحيم الكردي، الراوي والنص القصصي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 1، 2006، ص162.

وأطول مشهد في الراوية تمثل في الحوار الذي دار بين بقي وسي لمين حول موضوع الشر الذي نعت به إلى سي لمين بالشرير فكان رده بأن إلهي يقدر الشر، انبهر بقي من رده لأنه فرق بين الشرير وبين الذي يقدر الشر بقصد ما. ثم قال سي لمين إذا اعتقدت أن إلهي شرير، فهذا يعني أنه موجود لكن العيب في صفة من صفاته وهي الشر. وهذا من أجل توصيل فكرة بقي بأن الله موجود فقال بقي في نفسه أنه يأخذ من سي ما اقتنع به ويترك مالم يقتنع به. حيث احتل هذا المشهد اربعة صفحات ونصف وشخصياته هو بقي وسي لمين.

المشهد الراوئي يمثل للقارئ ما تمثله خشبة المسرح للمتفرج، أنه ينتظر أن تصعد شخصيات الراوية واحدا بعد الآخر ليتعرف عليهم ويكتشف صفاتهم، ومشاعرهم، ويرى ردود أفعالهم. ومن هنا فإن أحد هم وظائف المشهد أثناء الكتابة الراوية أن يبرز بشكل جلي أفكار الشخصية وعواطفها وصراعها الداخلي فضلا عن مظهرها الخارجي، وهذا ما تجلى في المشاهد المستخرجة من الراوية.

- **الوقفة:** وهي معاكسة للحذف لأنها تقوم خلاف له، على الإبطاء المفرط في عرض الأحداث الدرجة يبدو معها وكأن السرد قد توقف عن التنامي."[1]

و قد وردت في الراوية عدة وقفات نذكر منها:

- قول السارد في وصف سيمون " كانت شابة في الثانية والعشرين من عمرها لها عينان خضروان وعنق طويل، وشعر أصفر."[2]
- هنا توقف السارد لوصف سيمون بأنها امرأة جميلة بعد ما كان يتحدث مع خاله الذي رأى فيه فيلسوف كبيرا.

[1] أيمن بكر، السرد في مقامات الهمذاني، مطابع الهيئة المصرية العامة، مصر، 988، ص 55.
[2] الراوية ص 47.

- و قوله أيضا "لا زلت أذكر عينيه الجاحظتين قليلا، كانتا معذبتين كعيني نبي حزين. روحه كانت صافية كقطرة مطر".[1]

حيث أن السارد قبل هذه الوقفة كان يتذكر سي ليمين فتوقف ووصفه يقول السارد ايضا." طالعنا نخيل "حاسي خليفة" بلونه الأخضر الداكن، وبطوله الشاهق وكأنه يستطلع القادمين ليخبر البلدة بقدومهم".[2]

نلاحظ أن الوقفات لها دورا بارزا، رغم أنها تعرقل مسار الحركة السردية، فهذه الأخيرة تعتبر نقطة مهمة وذلك باعتبارها تقدم للقارئ وصف الأشخاص والاحداث والأماكن.

تحدد أهمية الوقفة الوصفية في أن السارد يوقف مجرى الاحداث ليجند طاقاته ليصف منظرا أو شخصا أو شيئا، لا يستطيع أي أحد آخر النظر إليه ونقل نعته إلى المروي له محاولة من السارد أن يصطحب المروي له للمعاينة ما عاين. لفرض خلق حالة مشتركة من التفاعل والموقف والإحساس، وهذا ما أضفته الوقفة المستخرجة في الراوية.

[1] الراوية ص 136.

[2] الراوية ص 70

خاتمة

خاتمة:

بعد دراستنا والخوض في غمار الرواية الجزائرية الصحراوية في رواية الملحد للكاتب الدكتور عبد الرشيد هميسي نصل إلى خاتمة هذا البحث لنذكر اهم النتائج المتوصل إليها وهي:

ـ نستخلص أن فضاء الصحراوي كان محضًا من ناحية عناصر السرد الذي كان له دورًا في تشكيل وبناء الرواية وخاصة عنصر المتخيل والسرد الرحلي، حيث كان مكونًا أساسيًا في بناء الرواية الصحراوية التي ساهمت في الكشف عن عوالم المتخيل الصحراوي.

- نستخلص أن الفضاء الصحراوي له علاقة مرتبطة بالزمن والشخصية وكذا اللغة فهي علاقة مقدسة.
- للمتخيل دورا كبيرا في إعطاء البيئة بمختلف جوانبها الثقافية والاجتماعية والسياسية، وهذا ما جعل هذه الرواية تتسم بالخصوصية لكونها تعد بين الروايات التجريبية التي ترسخ براعة الكاتب وفلسفته في الحياة وطريقة تفكيره ورؤاه العلمية واستشرافاته في ظل التحولات التكنولوجية المعاصرة، وما يحتاجه الإنسان المعاصر في ظل هذه العوارض والزخم الرقمي لأنه فعلاً أصبح يعيش في علم افتراضي شخصية هي إحدى التقنيات التي يقوم عليها السرد فهي دعامة وركيزة أساسية لكل عمل سردي.
- مزاوجة الدكتور عبد الرشيد هميسي بين العفوية واستخدام الخيال في كثير من مواضع الرواية وتفاصيلها.
- تتجلى أهمية السرد الرحلي من خلال القيمة المضافة التي قدمها للأدب العربي، فعلى الرغم من أن الرحالة لا يشترط أن يكون أدبيًا لكي يدون لنا رحلته بأسلوب أدبي، إلا أن الأساليب التي اتبعها الرحالة في توثيق رحلاتهم وقصصهم وألوان الحوار والقص والكتابة والتشويق التي تضمنتها جعلت من السرد الرحلي صنفًا أدبيًا، إلا أن الكاتب" عبد الرشيد هميسي" قد استعار هذه التقنيات شرقي الرواية إبداعيا وماليًا.

- أن التراث الصحراوي له أثر كبير في تشكيل الطقوس الدينية.
- الفضاء الصحراوي لرواية الملحد كان مساحة واسعة ملأت الأماكن والموجودات الصحراوية.
- الفضاء الصحراوي كان له دورًا كبيرًا في تشكيل هوية بطل الرواية.

وفي الأخير، وبعد هذا الجهد المتواضع الذي من خلاله حاولنا رصد أبرز تقنيات المتخيل الصحراوي والسرد الرحلي في رواية الملحد والكشف عن دلالاتها وكيفية استخلاص مختلف المعاني، تجدر بنا الإشارة إلا أن هذا البحث لا يخلو من النقائص إلا أنه يعد مقاربة نقدية أردنا من خلالها تقريب الهوة بينه وبين المتلقي ومحاولة منا للكشف عن عوالمها التخييلية خصوصا ما تعلق منها بالمتخيل والسرد الرحلي وأبرز آلياته، ومهما حاولنا فإن دراستنا هذه تعد محاولة منا ولا نجزم بأننا قد وفقنا لحد بعيد، بل تعد إضافة وتبقي على المجال البحث في هذا المجال مفتوحا أمام كل الباحثين والدارسين.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

أولا: المصادر:

1-عبد الرشيد هميسي، الملحد (حي بن يقظان)، دار ميم للنشر، الجزائر، 2022.

ثانيا: المعاجم:

2-بطرس البستاني: محيط المحيط(قاموس مطول للغة العربية)، مكتبة لبنان، بيروت، (د ط)، 1987م، مادة (خيل).

3-أبو الفضل الدين محمد بن مكرمين منظور الإفؤيقي المصري، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، المجلد 15، ط 4، 2005.

4-محمد حسين الزبيدي، تاج العروس، الجزء الثالث، دار الفكر، بيروت، ط1، 1994.

5-الفيروز آبادي: القاموس المحط، تج: مكتب تحقيق التراث، محمد تميم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط8، 2005.

ثانيا: المراجع:

6- أحسن مزدور، مقاربة سيميائية في القراءة الشعرية والراوية، مكتبة الآداب، القاهرة، د ط، 2005.

7- أحمد بن فضلان العباس بن الراشد حماد، رسالة بن فضلان، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، المطبعة الهاشمية، 1376ه/1960م.

8- أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع هجري، دار المأمون للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1481ه/2008م.

9- أمبرتو إيكو، تأملات في السرد الروائي، تر: سعيد بنكراد، لمركز الثقافي، دار البيضاء المغرب، ط1، بيروت، لبنان، 2015.

10- آمنة بلعلي، المتخيل في الرواية من المتماثل إلى المختلف، دار الأمل، ط 1، 2006م.

11- أيمن بكر، السرد في مقامات الهمذاني، مطابع الهيئة المصرية العامة، مصر، 1988.

12- -ترقيطان تو دوروف: الشعرية، تر: شكرية المبحوث ورجاء بنا سلامة، دايمتويقال، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1987، نقلا عن: مها حسن القمراوي: الزمن في الراوية العربية.

13- تزايدي العلجة، زيان وهيبة، المتخيل السردي في رواية بحث عن الآصال الغبريني.

14- جان برغيس: المخيلة، تر: خليل الجر، منشورات العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1984م.

15- حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء تقديم وتحقيق: محمد الحبيب بن خوخة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981.

16- حسن نجمي، شعرية الفضاء السردي، المتخيل والهوية في الراوية، العربية، ط 1، 2000، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء (المغرب)، بيروت – لبنان.

17- حسين بحراوي، بنية الشكل الراوئي، الفضاء الزمن الشخصيات، ط2، المركز الثقافي للطباعة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، بيروت – لبنان.

18- حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة كتب ثقافية شهري يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت 1989م.

19- حفيظة أحمد، بنية الخطاب في الراوية النسائية الفلسطينية، منشورات الرعاة للدراسات والنشر، رام الله، فلسطين، د.ط، 2007م.

20- حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، آب1991.

21- د. داود سلمان العنيكي، د. إنعام داو سلوم، كتاب العين معجم لغوين تراثي، ترتيب ومراجعة الدكتور داود سلوم، مكتبة لبنان ناشرون، ط1.

22- داود سلمان العنبكي، د. إنعام داود سلوم، كتاب العين معجم لغوي تراثي، ترتيب ومراجعة الدكتور داود سلوم، لبنان، ناشرون، ط1.

23- سميرة الساعد: الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، (د ط)، عامة 2009.

24- عبد الرحيم الكردي، الراوي والنص القصصي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 1، 2006.

25- عبد القادر الجرجاني: أسرار البلاغة، تعليق: سعيد اللحام، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1999.

26- عثمان موافي: في نظرية الأدب (من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ج1، د.ط، 2005م.

27- العربي الذهبي، شعريات المتخيل، مكتبة الأدب المغربي، الدار البيضاء، ط1، 2000.

28- علي كنجي، انخناري، السرد واللغة في رواية التلمص لصنع الله إبراهيم.

29- عيسى باختين، أدب الرحلة الجزائري الحديث (مكونات السرد)، دار هومة للنشر والتوزيع، 2014.

30- فوار الشعار، الموسوعة الثقافية العامة، إشراف: إميل يعقوب، ط1، دار الجيل، بيروت، سنة 1420ه/1999م.

31- قاسمي حكيم، مجلة الأثر: المتخيل الرحلي والنص الروائي المعاصر، جامعة الجزائر2.

32- مجموعة من العلماء والباحثين، الموسوعة العربية العالمية، حروف (الصاد، الضاد، الطاء، الظاء)، المجلد الخامس عشر، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط2، 1999.

33- محمد بن سعودا الحميد، موسوعة الرحلات العربية والمعربة المخطوطة والمطبوعة، معجم بيبلوغرافي، فهرسة دار الكتاب والوثائق القومية أثناء النشر، الطبعة الأولى، 1428هـ/2007م.

34- محمد رضا برعبيد وسوسن ها دي جعفر البياتي: جماليات التشكل الروائي، عالم الكتب الحديث، ط1، 2018م.

35- محمد عزام، شعرية الخطاب السردي، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2005، (د، ط).

36- محمد نور الدين أغاية، المتخيل والتواصل، دار المنتخب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1993م.

37- مراجعة الدكتور داود سلوم، كتاب العين معجم لغوي تراثي، مكتبة لبنان، ط1.

38- مهدي عبيدي، جمالية، المكان في ثلاثية حنامية (حكاية بحار – النقل – المرفأ البعيد)، منشورات الهيئة العامة السورية للكاتب، دمشق 2011م.

39- نادر أحمد عبد الخالق، الراوئية بين علي بكثير ونجيب الكيلاني، دراسة موضوعية وفنية، دار العلم والايمان للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، ط 1، 2009 م.

40- يوسف السويدي، الصحراء أرض صامتة تنبض بالحياة، دار الإعلام، عمان، الأردن، ط1، 2006.

ثالثا: المذكرات والرسائل الجامعية

41- رشيد كلاع، الخيال والتخيل عند حازم القارطاجني بين النظرية والتطبيق، (بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي)، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005/2004م.

42- فائزة بن خليفة، مصطلحات الخطاب والمتخيل عد محمد لطفي اليوسفي، بلقاسم مالكبه، مذكرة ماجستير، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية والآداب العربي، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2012/201.

43- مسعودة نضوري، شريفة يوسف: مرجعيات المتخيل السردي في الرواية الجزائرية المعاصرة، نماذج مختصرة، فاطمة شريفي، مذكرة مكملة مقدمة من أجل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي، جامعة ابن خلدون، تيارت، 2022/2021.

44- مقداس رزيقة، الصورة –الصحراء في الخطاب الروائي المغاربي، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه (ل. م. د)، 2021–2022.

خامسا: المجلات والرسائل الجامعية

45- إسلام ربيع عطية، تقنيات السرد السير الذاتي في رحلة ابن العربي، ترتيب الرحلة للترغيب في الملة، جامعة المنصورة، العدد السبعون، يناير 2022، جامعة المنصورة، كلية الآداب.

46- إسماعيل اردوهي، تقنيات السرد في رحلة فيض العباب وافاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزابلاني الحاج التيميري، العدد الثامن، جامعة محمد خيضر بسكرة.

47- عبد القادر موسى، الشرق بمنظار الغرب، كتابات الرحالة الأوربيين أنموذجا، مجلة الفكر الثقافية، العدد12، اكتوبر 2015.

48- كلثوم مدقن، دلالة المكان في موسم الهجرة الى الشمال، للطبيب صالح، مجلة الاثر، مجلة الآداب واللغات، جامعة ورقلة، عدد 4، ماي، 2005م.

49- محمد كحيل، الفلسفة والمتخيل، الملتقى الوطني للأساتذة، (د.ع)، المدرسة العليا، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، الواقع والآفاق، (د ت).

50- محمد مصيص، المتخيل الفجائي والغرابة، (قراءة في التجربة القصصية لأحمد بورفور، مجلة الكلمة، العدد 8، ديسمبر 2012م.

سادسا: المواقع الإلكترونية:

51- ويكيبيديا، 15يوليو2020، أزهار عبد الغني، 21ماي، 2023، http//sotor.com

الملاحق

الملحق رقم 01: سيرة الكاتب (عبد الرشيد هميسي)

الدكتور الروائي عبد الرشيد هميسي:

عبد الرشيد هميسي بن علي مواليد 1984/07/01، ببلدية حاسي خليفة ولاية الوادي، الجزائر، مساره التعليمي كان في ابتدائية الشهيد خطاب عبد الكريم سنة 1990م، ثم متوسطة مقى عمار، ثم ثانوية هواري بومدين بحاسي خليفة، تخرج من جامعة الوادي سنة 2007 بشهادة الليسانس في اللغة العربية وآدابها، وبشهادة الماجستير في الأدب العربي من جامعة سطيف سنة 2012م، وبشهادة الدكتوراه من جامعة حمله لخضر بباتنة سنة 2018.

يشغل منصب أستاذ محاضر(أ) في جامعة الوادي قسم اللغة العربية وآدابها، له رواية ما تشهيه الروح، وهي الفائزة بالجائزة الوطنية بالجزائر ديسمبر 2016، عن مسابقة رابطة الفكر والإبداع، له مصنف نقدي بعنوان: النصف والحاشية، وعدة مقالات في مجالات محكمة، ومجموعة قصصية بعنوان موسم الوجع، فازت بجائزة السنام الذهبي 2019، له رواية (الملحد بني بن يقطان)، فائزة بالجائزة العالمية راشد للإبداع، له رواية مرفوعة جاهزة للطبع، شارد في عدة ملتقيات دولية ووطنية، أشرف على عدة مسابقات في القصة (مسابقة نادي المميزين، مسابقة نادي خطوة، مسابقة نادي التراث والأصالة).

الملحق رقم 02: غلاف رواية الملحد

ملخص المذكرة:

تحاول هذه الدراسة الكشف عن المتخيل الصحراوي والسرد الرحلي من خلال رواية (الملحد)، للدكتور عبد الرشيد هميسي، حيث استطاع بلمسته الخاصة توظيف المتخيل الصحراوي وبيان قيمة الرحلة من خلال هذا العمل الروائي، وكشفت هذه الدراسة أهمية الصحراء كبيئة وفضاء دلالي لها، لما لها من خصوصية تنعكس على باقي مكونات العمل السردي، كم يضيء هذا البحث رواية توظيف الصحراء كمكان له خصائصه الجغرافية والروحية والاجتماعية، ويمتلك فضاء الصحراء خاصية تميزه، لذا كان لتجلي المتخيل الصحراوي نصيب كبير فيه، كما أن الصحراء هي منبع الرحلات، فالبيئة الصحراوية تمتاز بموروثها المادي والمعنوي الخاص، ليبقي الإنسان العربي ابن بيئته، وتكون الصحراء أيضا مكان يستقبل الزوار من كل مكان.

summary:

This study attempts to uncover the desert imagination and travel narrative through the novel "Al-Mulhid" (The Atheist) by Dr. Abdelrashid Hemissi. Through his unique touch، Hemissi was able to employ the desert imagination and articulate the value of travel through this literary work. The study reveals the importance of the desert as an environment and a symbolic space، as it has particular characteristics that are reflected in the other elements of the narrative work. This research sheds light on the novel's use of the desert as a place with its own geographic، spiritual، and social features. The desert space has a distinguishing property، and the desert imagination plays a significant role in it. Furthermore، the desert is the source of journeys، and the desert environment is characterized by its unique material and spiritual heritage، which keeps the Arab human connected to his environment. The desert also becomes a place that welcomes visitors from all over.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

اهداء	
شكر وعرفان	
مقدمة	أ-هـ
مدخل مفاهيمي	
1-تعريف المتخيل السردي	8
2-تعريف التخييل	8
3-تعريف المخيلة	9
4- السرد الروائي	10
الفصل الأول: المتخيل الصحراوي والسرد الرحلي	
المبحث الأول: متخيل الصحراء وسرد الرحلي المفهوم والعلاقة	14
1-تعريف المتخيل لغة واصطلاحا	14
2- مفهوم الصحراء	15
3-مفهوم السرد	17
4- مفهوم الرحلة	18
5-تعريف السرد الرحلي	20
6- العلاقة بين سرد الرحلة والمتخيل	21
المبحث الثاني: السرد الرحلي والمتخيل الصحراوي عند العرب والغرب	22
أولا: السرد الرحلي	22
ثانيا: المتخيل عند العرب والغرب	27
الفصل الثاني: تجليات المتخيل الصحراوي والسرد الرحلي في الرواية	
ملخص الراوية	31

المبحث الاول: المتخيل الصحراوي في الرواية	32
أولا: مظاهر التجلي المتخيل الصحراوي	32
ثانيا: وظيفة البيئة الصحراوية في بناء شخصية الراوية:	39
ثالثا: مفهوم الفضاء	43
رابعا: الفضاء الروائي	44
خامسا: دور المتخيل الروائي	45
المبحث الثاني: تجليات السرد الرحلي في الرواية	46
أولا: بنية الشخصية في الرواية:	46
ثانيا: بنية المكان المتخيل	50
ثالثا: بنية الزمان المتخيل	55
خاتمة	61
قائمة المصادر والمراجع	65
الملاحق	72
ملخص	74
فهرس الموضوعات	76

تمت بحمد
الله